6 me Année, No. 262

Lundi - 11 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٢ « القاهرة في يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ١١ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

أسباب ما نعمـــــل

للأستاذ عباس محمود العقاد

السيدة الأرمنية العجوز التي تسكن معنا في الدور الأرضي من المنزل أزمعت النقل إلى منزل آخر على مقربة من الحي ، وهي واقفة على الباب تراقب الحمالين وهم ينقلون الأثاث ويرتبونه . ولا بد من كلمة تحية ومجاملة في الطريق . فوقفت وسألتها :

إلى أين يا سيدة ؟ ما الذي أغضبك من منزلنا ؟

قالت : قسمة !

قلت : ألملك وجدت مسكناً خيراً منه في هذا القيظ ؟

قالت : لا . بل هي آخر قسمتنا فيه ، وإنما هي كما تقولون أعتاب وأيام !

« سبب امرأة »

نعم . فقد تعودنا حين نسمع أمثال هذه الأسباب التي لا تعليل فيها أن نبتسم ونصرف الحديث قائلين : سبب امرأة ، أو هو سبب من الأسباب التي لا يقنع بها غير النساء

والمتفق عليه بيننا معشر الرجال أن أسباب النساء هي الأسباب التي لا تعطيك تفسيراً ولا تزيدك علماً بعلة ما يصنعن وما يتركن . فاذا سألت امرأة : لم صنعت هذا ؟ أو لم لم تصنعيه ؟ فأغلب

ما يكون الجواب : هكذا ! أو هل تراني عارفة ؟

هذا أو تعطيك جوابين نقيضين لتعليل العمل الواحد .

فقد رووا أن رجلا صحب زوجته إلى متجر الملابس لينتقيا حلة تعجبها . فاختار لها لوناً من الحرير عرضه عليها ، فصاحت به : ما هذا ؟ إن جميع الناس يلبسون منه ... واختار لها لوناً آخر فصاحت به الصيحة الأولى: ماهذا ؟ إني مارأيت قط أحداً يلبسه !

فكان السببان النقيضان عندها صالحين لتعليل العمل الواحد وهو الإحجام عن شراء الحلة المعروضة عليها

* * *

لكن جهل الأسباب في الواقع غير مقصور على النساء ، وكذلك هذا النمط العجيب من التسبيب

سعيد وابراهيم واسماعيل ثلاثة إخوة صغار يلعبون أمام المنزل في معظم الأحيان ، أكبرهم في التاسعة وأصغرهم في نحو الخامسة؛ فهو لا يذهب إلى المدرسة أو لا يريد أن يذهب إليها

لقيته يوماً يلعب مع غير أخويه فسألته :

ماذا تصنع يا إسماعيل ؟

قال : لا أصنع شيئاً

قلت : لكني أراك تلعب ، فأين ذهب أخواك ؟

قال : إلى المدرسة ؟

قلت : ولِمَ لم تذهب أنت معهما ؟

قال : هكذا ! !

قلت : هكذا ؟ هكذا كيف ؟

فأعادها مرة أخرى ، وأدركه طفل أكبر منه بالجواب ، فقال : إنه صغير ! وهو على كل حال جواب يحسن السكوت عليه

* * *

قد يقال : وأسباب الأطفال أيضاً هي أسباب النساء ..!

لكن الواقع أن جهل الأسباب على هذا النمط غير مقصور على النساء والأطفال ، وأن أناساً كثيرين بعضهم متعلمون وبعضهم غير متعلمين يجهلون أسباب ما يعملون وأسباب مالا يعملون ، وتسألهم عن أمر من الأمور التي تقوم عليها الحياة وتتصل بها الأرزاق ، فلا يعطونك سبباً ، أو يعطونك سبباً قلما يغنيك عن التعليل

أعرف أسرة من الأذكياء المتعلمين ينتقلون من منزل إلى منزل كل ستة شهور أو كل سنة على أبعد أجل ، ويحيل أحدهم على الآخر في بيان أسباب الانتقال ، فهذا المنزل كرهه فلان ، وهذا المنزل انتقاه فلان ، وآخر ما يقال في تهوين هذه المشقة وتهوين ما يتبعها من خسارة ونفقة :

وما الفرق بين بيت مستأجر وبيت مملوك إن كان الانسان لا يتنقل بين البيوت ؟

ومن الواضح أن الانسان لا يزعج نفسه وأسرته بالانتقال وتحطيم بعض الأثاث وتجديد بعضه على حسب تنظيم المسكن الجديد لغير شيء إلا أن يجد الفرق بين البيت المستأجر والبيت المملوك ، أو أن ينفس على شخص واحد أن يتقاضاه الأجر زمناً طويلا فيفرقه بين أشخاص متعددين

فلا بد من سبب ولا بد من باعث ، ولكننا نحن الآدميين جميعاً نعمل ولا نكلف عقولنا تبيين أسبابها ، وإن كنا نبالغ في سؤال الآخرين عن الأسباب

وقد يسهل على الأكثرين أن يعرفوا أسباب ما يعملون إذا استقصوا هذه الأسباب . أما الذي يصعب على الأكثرين فهو عرفانهم أسباب مالا يعملون ، كأنما يحسبون أن الانسان يترك جميع الأعمال لغير سبب ، أو أنه لايحتاج إلى الأسباب إلا عند ما يعمل شيئاً أو يشرع في عمل شيء ، فأما أن يكف عن العمل أو عن الشروع فيه فذلك طبيعة لا تحتاج إلى سؤال

هذه حالة إذا أفرطت من إحدى جهتيها انتهت إلى الاباحية التي تتساوى عندها جميع البواعث والدواعي ، أو إلى الاباحية التي وصفها ابن المعتز في قوله :

قليل همـــوم القلب إلا للذة ... ينعّم نفسا آذنت بالتنقل
يعب ويسقي أو يسقى مدامة ... كمثل سراج لاح في الليل مشعل
ولست تراه سائلا عن خليفة ... ولا قائلا من يعزلون ومن يلي
ولا صائحا كالعير في يوم لذة ... يناظر في تفضيل عثمان أو علي

وهي حالة قريبة مما نراه من قلة المبالاة أو قلة التمحيص أو قلة « التدقيق » على حد تعبير أبناء البلد — عند أناس كثيرين في العصر الحاضر يعملون وينظرون إلى غيرهم يعمل ثم لا يسألون ولا يفكرون ... وهذا إن كانوا يعملون وينظرون

أما إذا أفرطت هذه الحالة من جهتها الأخرى فنهايتها إلى الوسواس والمراجعة فى كل شىء والمحاسبة على أهون الأمور ، والتردد بين الخواطر حتى لا إقدام ولا احجام ولا فائدة من الاقدام والاحجام

إنما الحد القوام بين هذا وذاك أن يكون المرء قادرا على تعليل عمله والنفاذ إلى باطن مشيئته ، لأنه متى قدر على ذلك استولى على زمام نفسه ، وقبض على سكان سفينته فى زعازع هذه الحياة. فمن عرف لماذا يعمل عرف كيف يجتنب العمل إذا وجب عليه اجتنابه

وعرف كيف يقنع به غيره إذا حسن عنده اقناعه

وعرف كيف يصنع على مثال أجمل وأكمل إذا لاحظ تقصيرا فيه

وكذلك من عرف لماذا لا يعمل شيئا من الأشياء ، فانه خليق أن يروض نفسه على عمله متى عرف سهولة المانع أو عرف ما فيه من مؤاخذة ونقيصة . وخليق أن يفهم دواعى الاحجام عنده فيعالجها بما يصلحها أو يقربها إلى الصلاح

بعض علماء النفس ينصحون طلاب الرياضة النفسية بتسجيل المذكرات اليومية ، لاثبات أعمالهم وقياس الفارق بين أمسهم ويومهم

والذى نراه أن تسجيل المذكرات اليومية لا يجدى جدواه مالم ينته إلى مساءلة النفس عن بواعثها ودواعيها . فليجرب من شاء أن يختار حادثة من حوادث الحياة كل يوم يسأل عن سببها ويستقصى دخائلها ويصمد على ذلك شهرا واحدا ثم ينظر فى نتيجة هذه الرياضة ، فانه واجد لا محالة أنه يتقدم فى طريق القدرة على النفس والقدرة على الحياة ، وأنه يصبح يوما بعد يوم سيد نفسه ومالك قياده ، وتلك بغية الرجل الكامل فى الثقافة وفى الرياضة وفى الآداب والأخلاق

عباس محمود العقاد

فأصبحتم بنعمته إخوانا

للأستاذ جليل

إلى حضرة الدكتور محمد محسن البرازى
الأستاذ فى الجامعة السورية

يا سيدي ، إن قولي : (المرء بفضله وفصله ، لا بزخرفه وأصله ، والأمة إنما هى بلغتها وأدبها وعقيدتها ومصلحتها) وتمثلي بحديث الممذاني وجميع ما رقمته فى تلك القطعة من (الكلمة) — هو إعلان حقيقة قالوها ، وليس فى شاهدى من كلام (البديع) إزراء بأصل ما ، أو استصغار قبيل إن ظن أحد أن ذلك فيه

ولم أنعَ فى (كلمى) — كما لاح لأخى الدكتور — على منتَمٍ إلى الفرنسية نخوته حين قال : (أنا فرنسي ، أنا فرنسي ، أنا ابن النول) إنّ له أنْ يقول وينتخى كما يقول الايطالى والجرمانى والبريطانى وغيرهم مزهوين . والمكتوب هناك هو شرح حال . وأرى أن أذكر فى هذا المقام أن الأمة الألمانية فى تلفيقها وتأليفها إنما هى مثل الفرنسيس وغيرهم من الأمم . وكان صاحب مجلة جرمانية قد اعتزم قبل (الحرب الكبرى) على أن يبحث عن عناصر الجرمان بحث العلماء المحققين فنعته [1] وزارة الحرب من ذلك

ألمانية نقية صافية خالصة مروّقة مصفّقة [2] ما كانت ولن تكون

والسلطان صلاح الدين [3] يوسف بن أيوب (خرّيج الملك نور الدين [4] محمود بن الشهيد رضى الله عنهم أجمعين) وسادتنا الأيوبيون ملوك العرب لا أعدهم — ونحن فى هذا الشكل من البحث — أكراداً ، بل هم عرب ، بل هم أعرب من يَعْرُب [5]

---

(١) منعه كنا ومن كنا وعن كنا

(٢) روق الشراب : صيره رائقا بالتصفية ، وصفقه : حوله من إناء إلى إناء ليصفو (الأساس)

(٣) فيه قال الشاعر :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم ... فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

(٤) يقول ابن منير الطرابلسى فيه :

عقل الحق ألسن الدعينا ... أنت خير الملوك دنيا ودينا

(٥) بضم الراء ، يعرب كينصر

ابن قحطان . وقولى فى البرازيين الكرام ، فى بلاد الشام مثل قولى فى الأوربيين . ولا أقصد بما أقول تفضيل عربية على كردية، أو تفضيل كردية على عربية ، فلست فى حديثى هذا من (المفضلة)

وبعد فنحن نتلهى فى غيبة السلطان الأعظم (أعنى الإسلامية) بهذه السباة (جنسية وقومية ووطنية) ومشابهها من الفتن الأوربية ، فإذا جاء القرآن ، إذا جاء محمد ، إذا جاء الاسلام، الاسلام الصحيح خرست العربية المصرية ، وخرست الاعرابية الجزَرية ، وخرست الكردية ، وخرست الشامية والعراقية ، وخرست البربرية والغربية والفربية ، وخرست الهندية والفارسية والصينية والجاوية والتترية

« إنما المؤمنونَ إخوة »

« واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرّقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حُفرةٍ من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون »

قل : نار الضلال والتمادى ، نار الجنسيات والقوميات والوطنيات والعصبيات والطبقات

***

قال الدكتور البرازى فى (مقاله) : « دين الاسلام عالمى » وهذا أظهر من الشمس ، وهذا واضح بيّن مثل ضياء القرآن المضئ الباهر

« إنْ هو إلاّ ذِكرٌ للعالمين »

« قُلْ : يا أيها الناسُ إنى رسول الله إليكم جميعاً »

ومن الأفاكيه التى تُروى للاطراف والتفكيه قول « طائفة من اليهود يقال لهم : العيسوية — وهم أتباع عيسى الأصفهانى — إن محمداً رسول الله صادق مبعوث إلى العرب وغير مبعوث إلى بنى اسرائيل [1] » وقد ذكر ابن حزم هذه الطائفة ومقالها فى كتابه (الفِصَل فى الملل والأهواء والنحل) قال : « العيسوية هم أصحاب أبى عيسى الأصبهانى كان بإصبهان ، وبلغنى أن اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد (صلى الله عليه وسلم) ويقولون إن عيسى بعثه الله (عز وجل) إلى بنى اسرائيل على ما جاء فى الانجيل وإنه أحد أنبياء بنى اسرائيل

(١) مفاتيح الغيب

وإن محمداً نبى أرسله الله بشرائع القرآن إلى بنى اسماعيل وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبياً فى بنى عيص ، وكما كان بلعام نبياً فى بنى مواب باقرار من جميع فرق اليهود ، ولقد لقيتُ من ينحو إلى هذا المذهب من خواص اليهود كثيراً »

وفى (الفرق بين الفرق) للبغدادى : « وقوم من شاذكانية اليهود حكوا عن زعيمهم المعروف بشاذكان أنه قال : إن محمداً رسول الله إلى العرب وإلى سائر الناس ماخلا اليهود . وأنه قال: إن القرآن حق، وإن الأذان وإقامة الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان وحج الكعبة — كل ذلك حق ، غير أنه مشروع للمسلمين دون اليهود »

قلت : إن الله (عز وجل) يقول :

« وأرسلناك للناس رسولا [1] »

« وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين »

فهل ترى هذه الطائفة أو ترى يهودُ أنهم ليسوا من الناس . . . وليسوا من العالمين . . . ؟؟

الاسكندرية (***)

(١) فى (روح المعانى) : فيه رد على من زعم اختصاص رسالته (صلى الله عليه وسلم) بالعرب فتعريف الناس للاستغراق

جورجيـــاس
أو البيان
لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٣ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » الفلسفة !)

« رينوفيير »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — شيروفون : صديق سقراط : « س »
٣ — جورجياس : السفسطائى : « ج »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكلس : أثينى : « ك »[1]

ط — حسن ! وما دمت تُعجب بمهارتك فى فن البيان ، وبقدرتك على تعليمه للغير ، فأخبرنى ما هو موضوع ذلك الفن . إن لفن النسج مثلاً موضوعاً هو صنع الأقمشة . أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — وموضوع للموسيقى هو تأليف الألحان ؟

ج — نعم

ط — يالجيتون[2] ! إنى لمعجب جداً بإجاباتك ياجورجياس ! إذ لا يستطيع أحد أن يجيب بأقصر من ذلك !

ج — وأنا أغبط نفسى لنجاحى التام فى هذه الناحية !

ط — الحق أنك غير مخدوع فى ذلك قط ! فأرجو أن تجيبنى بالمثل عن علم البيان وأن تخبرنى عن موضوعه !

ج — موضوعه الخطب والأحاديث

ط — أية خطب يا جورجياس ؟ أتلك التى تشرح للمرضى قانون الغذاء الذى يجب أن يتبعوه كيما يتم لهم الشفاء ؟

ج — كلا

ط — إذاً لا يشمل موضوع البيان كل أنواع الخطب ؟

ج — من غير شك

ط — ولكنه يعلم الناس — مع ذلك — الكلام ؟

ج — نعم

ط — وهو يعلم أيضاً التفكير فى سبب تعليمه الكلام ؟

ج — نعم دون ما تناقض

ط — ولكن ألا يبحث فن الطب ـ الذى اتخذناه مثلاً ـ ويتكلم فى الأمراض ؟

ج — بالضرورة

ط — وإذاً أيكون الكلام من موضوعات الطب كما يبدو ؟

ج — نعم

ط — أو بالأحرى الكلام الذى يتعلق بالأمراض على الأقل ؟ !

ج — تماماً !

ط — وبالمثل، ألا يكون موضوع « الرياضة البدنية » هو الكلام فى حسن استعداد الجسد أو سوئه ؟

ج — هذا صحيح

ط — وهل الأمر بالمثل فى الفنون الأخرى يا جورجياس ؟ هل موضوع كل منها هو الكلام المتعلق بما تعالجه من شئون ؟

ج — يلوح ذلك

ط — ولم لا تطلق إذاً اسم « البيـان » على تلك الفنون الأخرى التى موضوعها « الكلام » ما دمت تطلق هذا الاسم « إطلاقاً »[1] على فن موضوعه الكلام ؟

(١) بدأت المحاورة فى العدد الماضى . وقد انتهت هناك بدخول جورجياس فى المناقشة مجيباً على أسئلة سقراط الذى أراد أن يعرف من السفسطائى موضوع الفن الذى يمتهنه ويدعى أنه أفضل الفنون وأجلها . وسنرى اليوم كيف يحاوره سقراط ويكشف عن جهله بحقيقة مهنته !

(٢) أحد آلهة اليونان (المعرب)

(١) قد زدنا هذا اللفظ من عندنا لتنبيه القارئ إلى قصد سقراط (المعرب)

ج — يرجع السبب في ذلك يا سقراط إلى أن الفنون الأخرى تكاد تتعلق فقط بأعمال اليد أو بما يشبه هذه الأعمال من إنتاج . أما البيان فلا ينتج أى عمل يدوى . ولا يقوم كل أثره ونفوذه إلا فى الكلام فحسب . وهذا ما يجعلنى أصرح بأن موضوع البيان هو الكلام ، وما يجعلنى أدعى أن قولى هذا صحيح !

ط — أعتقد أنى فهمت ما تريد أن تعنيه بذلك الفن . ولكنى أريد أن يزداد الأمر وضوحاً فأجبنى : أليست عندنا فنون كثيرة ؟

ج — بلى !

ط — ومن هذه الفنون — كما أظن — ما يقوم فى أساسه على العمل دون أن يحتاج لتعبير أقل قدر من الكلام ، أو دون أن يحتاج إلى كلام قط ؛ فيتم عمله فى صمت تام كالحفر والتصوير وفنون كثيرة أخرى مما قد قلت عنها — فيما يتراءى لى — أنها لا تتصل بالبيان قط ؟ أصحيح هذا ؟

ج — إنك لتمسك بفكرتى تماماً يا سقراط

ط — هذا بينما توجد على النقيض فنون أخرى تعتمد تقريباً على الكلام ولا تحتاج إطلاقاً إلى أي عمل action كالحساب والإحصاء والهندسة ولعب الشطرنج وفنون أخرى كثيرة ، إذ يعن هذه ما يتطلب من الكلام أكثر مما يتطلب من العمل ، بل إن أغلبها يتطلب بالفعل « كلاماً » أكثر . ولذلك تقوم كل قوتها وأثرها فى الكلام فحسب . فترى هل البيان من ذلك النوع الذي ذكرتُ كما يبدو ؟

ج — إنك تقول حقاً

ط — ومع ذلك فقصدك — كما أظن — ليس إطلاق اسم البيان على أحد هذه الفنون، لأنه ما إن تقول عامداً إن البيان فن تقوم كل قوته فى الكلام حتى يتعلق بعضهم بالألفاظ ويخرج منها قائلا : « إنك إذاً تطلق البيان على الحساب يا جورجياس ! » . ولا أحسب أنك تسمى الحساب أو الهندسة بهذا الاسم[1]

ج — إنك مصيب يا سقراط وقد فهمت قولى كما يجب أن يفهم !

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط وأدبه فى الحوار . إنه يكاد يشفق على محدثه الجاهل ويرده إلى الصواب فى أدب ساخر وتصحيح سليم

ط — إذاً أتم إجابتك على سؤالى . ما دام البيان أحد هذه الفنون التى تعتمد على الكلام اعتماداً أساسياً ، وما دامت هناك فنون مثله فى ذلك الاعتماد ، فأخبرنى من أية ناحية يعتمد البيان على الكلام[1] ؟ إذ لو سألنى مثلا أحدهم عن موضوع فن من الفنون التى أسميها بأسمائها وقال ما هو الحساب يا سقراط ؟ فإنى أجيبه — كما أجيب الآن — بأنه أحد الفنون التى تعتمد تماماً على الكلام . فإذا سألنى ثانياً : من أية ناحية ذلك الاعتماد ؟ أجبته : من ناحية الزوج والفرد كيما ندرك عدد الوحدات فى هذا وفى ذاك . . . وهو إذا سألنى بالمثل عن الاحصاء قلت له أيضاً إنه أحد الفنون التى كل قوتها فى الكلام . فإذا طلب : من أية ناحية ذلك ؟ قلت : — كما يفعل جامعو الأصوات فى الجمية — إن الاحصاء يقوم للفنون الأخرى مقام الحساب لأن موضوعهما واحد : أى معرفة الزوج والفرد . وهناك فقط هـذا الفارق : وهو أن الاحصاء يبحث فى كمية الزوج والفرد لا إطلاقاً فحسب ، ولكن أيضاً فى علاقات هذه الكمية ونسبها . وكذلك إذا سألنى أحدهم ثانياً عن الفلك وأضاف بعد قولى له إنه فن يعبر بالكلام عما هو فى دائرة اختصاصه — أضاف : على أى شيء ينطبق القول فى الفلك ؟ أجبته بأنه ينطبق على حركة الكواكب والشمس والقمر كما يمتد فيتناول علاقات سرعتها بعضها ببعض[2]

ج — حسن جداً يا سقراط

ط — إذاً أجبنى بالمثل يا جورجياس : أليس البيان أحد هذه الفنون التى تعالج كل شيء وتنجزه بالكلام ؟

ج — هذا صحيح !

ط — ولكن أخبرنى من أية ناحية هذا ؟ وما هو الموضوع الذى يتصل به ذلك الكلام الذى يستعمله البيان ؟

ج — إنه يا سقراط أعظم أعمال الإنسانية وأرفعها ![3]

(١) قصد التحديد وعدم إطلاق الألفاظ بلا تدقيق ظاهر (المعرب)

(٢) أرجو ألا يمل القارئ من كثرة الأمثلة إذ لاشك فى طرافتها وضرورتها لاقناع العقول المهوشة العلم

(٣) لاحظ اللف والدوران واستعمال الكلمات الطنانة !

ط — لم يزل ما تقول يا سقراط موضع شك وغموض !
ويبدو لى أنك قد سمعت فى الولائم تلك الأغنية التى يعدد فيها الندماء خيرات الحياة ويقولون إن أول هذه الخيرات هو اللبس الحسن ، وثانيها الجمال الرائع ، وثالثها الغنى الحلال كما يقول مؤلف هذه الأغنية ؟

ج — لقد سمعتها حقاً ولكن لم تذكرها ؟

ط — ذلك أن أصحاب هذه الخيرات التى يتغنى بها الشاعر كالطبيب ، ومدرب الرياضة البدنية ، ورجل الأعمال ، سيقفون فى الحال إلى جانبك ، وسيبدأ الطبيب فيقول لى إن جورجياس يخدعك يا سقراط لأن موضوع فنه ليس من خيرات الانسانية الكبرى فى شىء ، بينما موضوع فنى أنا هو الذى يتصل بهذه الخيرات ! فإذا سألته : وما مهنتك أنت يا من ترسل هذا القول فإنه سيقول : « إنى طبيب ! » وإذا ما سألته : ماذا ! أتدعى أن أعظم خيرات الانسانية هو ما ينتج من فنك ؟ أفلا يحتمل أن يقول لى متسائلاً : وهل يستطيع أحد أن يجحد ذلك ما دامت « الصحة » هى ثمرة هذا الفن ؟ وهل هناك خير يفضل الصحة لدى الناس ؟[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) أظن أن ليس هناك أبرع ولا أمهر من هذا الرد (المعرب)

حـــواء

... ديوان شعر طريف فى النزل العرفانى يصدره الأستاذ الحومانى تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه فى أعدادها التالية ريثما ينتهى طبع الديوان

عبقر الفنان

الأمانىُّ أعلَقَتْ بِىَ عينيـــكِ وعيناكِ رمزُ هذى الأمانى
كيف لا أرصد النجوم لعينيـــكِ طَوالَ الدجى ولى عينان ؟
أفما جالتا — وقد خفق الحا لم — من وجنتيكِ فى بستان ؟
تملأ النفسَ منه بالأمل الغضِّ رؤى عبقرية الألوان
لا عيون الرائى تفوز بما تُبـ ـصرُ منها ولا أكفُّ الجانى
إنما هن فى السما مُثُلُ الفنِّ وفى الأرض عبقر الفنان

روح الله

مبدعَ الفن أىُّ كفيكَ خطَّتْ عجبَ الفن تحت هذى الجباه ؟
فى صدور تموج تحت صدور وشفاهٍ تهتز فوق شفاهِ ؟
إن فى الابتسام والدمع سِرًّا هو غير العيون والأفواهِ
أهو الحبُّ خلقهن ؟ وما الحبُّ ؟ هل الحب غير روح الله ؟
آمنت فيك هذه الناس ساهيـــنَ وآمنتُ فيك غير الساهى
قد تحسستُ ذات قدسك لا فى النا ر مسجورة ولا الأمواهِ
إنما الحب دمعة وابتسام وهما أنت فى الحقيقة لاهى

الحومانى

أحمد الاسكندري بك

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاته

١٨٧٥ - ١٩٣٨

بقلم تلميذه وصهره

الأستاذ محمد أحمد برانق



اتصل بي كثير من الأدباء الذين يقدرون المغفور له الأستاذ أحمد الاسكندري قدره، ويقرون له بالفضل (وبخاصة أدباء لبنان وفلسطين وغيرهما من الأقطار الشقيقة)، وطلبوا إلى أن أقدم لهم كلة في تاريخ حياته، وموجزاً عن آثاره العلمية والأدبية، ليكون نواة لما يقال عنه في حفلة تأبين يقيمها أدباء بيروت، ولما يلقى من محطة الاذاعة في فلسطين، ولكن شدة وقع المصيبة كاد يصرفني عن كل شيء حتى هذا، إلا أني غالبت ذلك الضيق الذي أحس مرارته في نفسي، واستطعت أن أكتب ما أرجو أن يكون فيه بعض الغناء إلى حين، حتى إذا أمكنتني الفرصة من وضع يدي على آثاره الأدبية المخطوطة، جلوتها للأدباء، وفاء له، واعترافاً بفضله

نشأته:

صدر العلماء، وغرة الأدباء، وباقعة عصره — أحمد بن على عمر الاسكندري، ولد في مدينة الاسكندرية في ٢٦ فبراير سنة ١٨٧٥، تعهده أبوه بالتعليم، وبعد أن حفظ القرآن وأجاده التحق بالمعهد الديني بالأسكندرية المعروف بجامع الشيخ. وأكب على التحصيل، ولكن مناهج التدريس لم تشبعه، فكان يقرأ الكتب التي تقع تحت يده، ومنها قصص عنترة، وأبي زيد، وسيف بن ذي يزن وألف ليلة وليلة، ونحوها، فأولع بالأدب، وقرض الشعر يافعاً، وعرفه بعض أبناء الأعيان المتأدبين، ولكن الأفق العلمي في الاسكندرية أصبح محدوداً أمامه، فرغب في النزوح إلى القاهرة حيث الأفق أوسع، ولكن والده لم يوافقه؛ إلا أن الهمة البعيدة الموهوبة، تفك القيود، وتحطم الأغلال، وتحتال لتقهر كل صعب، فصمم الغلام أحمد الاسكندري على الرحلة إلى القاهرة، وجمع كتبه وحزمها، وخرج في غفلة من أهل الدار، وليس في جيبه إلا دريهمات كان قد ادخرها، وصحبه في سفره اثنان لا أذكر اسميهما، أما أحدهما فإنه تخلف في حدود الاسكندرية، وأما الآخر فإنه صحب أحمد وركبا مركباً يسير في ترعة المحمودية حتى وصلا إلى مدينة كفر الزيات. وهنا نفد زادهما ودريهماتهما، فعاد الرفيق إلى الاسكندرية، أما هو فإن عزمه حديد لا يفل؛ فقد حمل كتبه على ظهره، ومشى على قدميه من مدينة كفر الزيات حتى وصل إلى القاهرة وهو حدث.

والتحق بالأزهر ليتلقى علوم اللغة والدين. وفي سنة ١٨٩٤ التحق بمدرسة دار العلوم، وكان أصغر زملائه سناً، وأنبههم ذكراً، وأوسعهم معرفة. وكان من عادة المدرسة حينئذ أن تعقد في أول كل سنة دراسية اختبارا عاماً لطلبة المدرسة في كتب تعينها لهم، ثم في المعلومات العامة، فكان الاسكندري في كل عام فارس الحلبة الذي لا يدرك، فتخصه المدرسة بجوائزها

وكان أيام الطلب مبرزاً في مادة الانشاء بديع الصنعة، مليح الصيغة. كتب أول أمره على الطريقة الشائعة إذ ذاك، وهي طريقة السجع، وله موضوعات كانت موضع إعجاب أساتذة الانشاء في عصره، فأطروها ونشروها منسوبة إليه في كتبهم؛ ولعل من هؤلاء الشيخ مفتاحاً — إن لم تكن الذاكرة قد

خانتى — فإنه نشر له موضوعاً فى وصف قنطرة قصر النيل (الخديو إسماعيل الآن) فى كتاب له

تخرج فى دار العلوم سنة ١٨٩٨ ، واشتغل بالتدريس فى المدارس الأميرية، ثم كان ناظراً لمدرسة المعلمين فى الفيوم والمنصورة؛ وفى هذه الأثناء ظل على نشاطه الفكرى ، فأخذ من محاسن الآداب بأوفر حظ

فى دار العلوم

فى سنة ١٩٠٧ انتقل إلى دار العلوم لتدريس مادتى الانشاء والأدب العربى وظل يزاول ذلك العمل بتلك المدرسة زهاء سبعة وعشرين عاماً ، ألف فى أثنائها كتاباً عن الأدب العربى فى العصر العباسى ، أجمع الأدباء على أنه كان المعين الذى استقى منه جميع من بحثوا فى تاريخ الأدب من بعده . وضع لطلبته مذكرات فى العصور الأخرى ، كانت وما تزال عدة الطلبة ، يجدون فيها طلبتهم فيستعينون بها على تهيئة أنفسهم لأن يكونوا أدباء باحثين لما تحتويه من الحقائق العلمية والفنية الخالية من الزخرفة والتهويل ، ولأنها ترسم لهم طريق البحث فى أحدث صورة

وكان منهج تاريخ الأدب فى دار العلوم يحتوى فوق النظريات العامة تراجم كثيرة لعدد كثير من الكتاب والشعراء والخطباء والعلماء وغيرهم ؛ فكانوا يضطرون إلى وضع مختصرات تشبه المتون ؛ وهذا لا يلم الطلبة ، ولا يربى فيهم ملكة البحث فاقترح — رحمه الله — أن يكتفى بدراسة بضع تراجم بحيث يدرس المترجم دراسة تفصيلية تحليلية وافية ، يرى فيها الطلاب نبراساً يهتدون به إذا حاولوا مزاولة البحث أو قصدوا الاستقصاء أى عمل علمى ؛ وحمل هو هذا العبء بادئاً ونهض به . وكان من حسن حظى أن كنت من أول من تتلمذوا عليه حين زاول هذا العمل ، فاستفدنا منه أجل فائدة ، وهو أول من اقترح تدريس فقه اللغة فى مدرسة دار العلوم ، وكان غير معروف من قبل فى المدارس المصرية . وتقدم لعمل المنهج ، وحمل عبء تدريسه ، فقسمه قسمين : قسم فلسفى نظرى يتعلق بنشأة اللغات والاشتقاق والنحت واختلاف اللهجات وغير ذلك ؛ وقسم نظرى يتعلق بوضع الألفاظ اللغوية للمسميات ، وكان مجدداً فى ذلك ، فوفقه الله كل التوفيق، وجاء من بعده فاهتدوا بهديه ، وساروا فى نهجه

وفى سنة ١٩٢٢ عرض عليه موظف كبير كان بوزارة المعارف أن يزج بنفسه فى المعترك السياسى ، وأن يحرر مقالات ينشرها فى الصحف اليومية ، يؤيد بها حزباً معيناً ، فأبت عليه نفسه أن يفعل ، محتجاً بأن العلماء أحرى بهم ألا يكونوا ساسة ، وأن ما يتطلبه العلم من الأخلاق غير ما تتطلبه السياسة

وجميع من تخرجوا فى دار العلوم من سنة ١٩٠٧ إلى سنة ١٩٣٤ تتلمذوا عليه ما عدا فرقتين اثنتين .

فى الجامعة

وفى سنة ١٩٣٣ اختير أستاذاً للأدب العربى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، فاضطلع بذلك العمل على أكمل وجه وأتمه ، فأحبه تلاميذه ، وأقبلوا عليه ، وأفادوا منه

فى المكتب الفنى

وفى سنة ١٩٣٥ كتب إليه وزير المعارف إذ ذاك خطاباً يخبره فيه أنه يريد أن ينتفع بعلمه الواسع وتجاربه الطويلة فى المكتب الفنى فى وزارة المعارف ، فكان فيه عضواً عاملا ؛ وكانت له مشاركة تامة فى وضع مناهج اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، وفى مراجعة الكتب العربية لهذه المدارس

فى المجمع اللغوى

عند ما أنشىء المجمع اللغوى الملكى فى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ وقع عليه الاختيار ليكون عضواً من أعضائه . وإن من يراجع محاضر جلسات المجمع فى سنواته الخمس ، يجد أنه كان المحور الذى تدور حوله المقترحات والمناقشات ، فكان بحق كما وصفه بعض العارفين: «مخ المجمع» . ولما تكونت اللجان الفرعية ساهم فى أكثرها ، فكان عضواً فى لجنة الرياضيات ، ولجنة العلوم الطبيعية والكيميائية ، ولجنة علوم الحياة والطب ، ولجنة المجلة ، ولجنة خزانة الكتب ، ولجنة الميزانية ، ولجنة الأصول العامة ، فكان عضواً فى سبع لجان من إحدى عشرة لجنة

تعصبه للغة العربية

كان يحب اللغة العربية ويتعصب لها تعصباً جعله يصف من يتهاون فى أمر من أمورها بالزندقة والالحاد . وكان يعتبر التساهل وفتح الباب للغات الأجنبية ، لغزو اللغة العربية ، جريمة شنيعة

ومن يرجع إلى محاضر جلسات السنة الأولى للمجمع اللغوى يجد أنه جاهد جهاداً شديداً حتى جعل المجمع يوافق على عدم اللجوء إلى التعريب إلا لضرورة قصوى . وكان يعجب من القوم الذين يعيبون على المجمع استعمال ألفاظ غريبة لمسميات جديدة ، لأنه كان يرى أن هذه الألفاظ وإن بدت غريبة الآن فإنها بالاستعمال والمران تسهل على السمع وتجرى على اللسان ، وهى أصون للغة من الدخيل . وله فى مسألة التعريب مواقف مشهودة وقفها فى نادى دار العلوم القديم الذى كان يرأسه المرحوم عاطف بركات باشا ، وفى المجمعين اللغويين الأهليين القديمين اللذين رأسهما المغفور له العلامة الشيخ سليم البشرى ولطفى السيد باشا ؛ ومبدؤه هذا كان يبثه فى تلاميذه ، ويحضهم على الاستمساك به ، حتى لتجد جمهرتهم إن لم يكن كلهم من رأيه ومبدئه

مؤلفاته

أول كتبه كتاب تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى ، ثم ألف كتاباً عن اللهجات العامة ، قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩١١ ، ورأيته عنده مخطوطاً ولم يقع نظرى عليه منذ سنتين. ثم ألف كتاباً للمطالعة للمدارس الثانوية فى عدة أجزاء ، وسماه « نزهة القارئ » طبع منه جزءين نفدت منهما طبعات ، قررته وزارة المعارف سنة ١٩٣٤ ؛ ولكن أموراً شكلية تتعلق بشروط قائمة بينه وبين (مكملان) حالت دون التنفيذ

وألف كتاباً عاماً فى الأدب العربى فى جميع عصوره ، يقع فى بضعة آلاف صفحة ، وكان فى نيته أن يطبعه ، واشتغل فى السنة الأخيرة من حياته بوضع مقدمة له وصفها هو بأنها : تقع من تاريخ الأدب موقع مقدمة ابن خلدون من التاريخ ؛ وأعد المدة لذلك ، ولكن عاجلته المنية ، فاقتطعه دون الأمنية

وله بعد ذلك مؤلفات فى فقه اللغة كان يضعها لتلاميذه ؛ لكنه لم يجعلها كتابا عاما لاعتقاده أن هذا من شئون الخواص . واشترك مع غيره فى وضع كتب مدرسية فى التاريخ العام وتاريخ الأدب والنصوص الأدبية أكثرها يدرس اليوم . وليس المقام هنا مقام البحث فى هذه الكتب ودراستها ، ولكنه مجرد سرد موجز لما عمله .

أخلاقه وصفاته وعلمه :

كان هينا ، لينا ، صريحاً ، أبيا ، عذب الحديث ، بارع الجد ، حلو الفكاهة ، سريع الخاطر ، حاضر النكتة ، ظريف التفصيل والجملة ، ميالا إلى العزلة ، فكان يقضى فى بيته أياما لا يبرحه . وكان كثير القراءة ، تمر به أيام يقرأ فيها خمس عشرة ساعة أو أكثر فى اليوم . وكان سريع التعليق ، ويقتنى مكتبة عظيمة ، وليس فيها كتاب لم يقرأه ولم يعلق عليه .

وكان أهم ما يعنى به فى قراءاته بعد أن استوعب الكتب القديمة مطبوعة وخطية ـ هو الكتب المترجمة ، وكان أول مايقرأ فى الصحف برقياتها الخارجية

أما معلوماته العامة فواسعة المدى ، فهو سياسى مع الساسة ، وأثرى مع علماء الآثار ، ومصور مع علماء التصوير ، واجتماعى مع رجال الاجتماع ، وهو كذلك رياضى وطبيعى وكيميائى ومؤرخ. وكانت له فى كل هذه العلوم مشاركة تامة تدل على استبحاره . والموضوعات التى عالجها فى كتابه نزهة القارىء ، والكلمات التى وضعها فى مجلة المجمع ، ورسالته الأخيرة التى قدمها للمؤتمر الطبى العربى ببغداد ـ كل هذا يشهد بأنه كان ذا نشاط جم ، وعقل جبار.

ومجالسه مع أصدقائه تشهد بما كان له بينهم من جليل القدر وعظيم الأثر. حدثنى أحد الفضلاء أنه شكا إليه يوما تخبط الكتب الانجليزية واضطرابها فى شرح نظرية دارون ، وأنه تعب كثيرا فى التقصى والبحث إلا أنها لم تصر جلية فى ذهنه كما يجب ، فأفاض الشيخ فى شرح هذه النظرية ببيانه المعروف عنه ، وتوضيحه وتذليله وتصويره للحقائق فى أيسر صورها ، حتى ترك صاحبه ومن كانوا معه يقولون : كأن دارون لم يفض بحقيقة نظريته إلا له ، فاختصه الله القدرة على تفهيمنا .

وحدث صديق له قال : صحبته وبعض خلصائه يوماً إلى دار الخيالة ؛ وما كدنا نصل إليها حتى أبدى أحدنا غرابة مما وصل إليه العلم من عرض الصور الصغيرة وتكبيرها ؛ ثم تسجيل الصوت ؛ فما كاد يسمع منه ذلك حتى انطلق يشرح لهم نظريات عن فن التصوير والعدسات وأنواعها وكيفية استعمالها ، ثم عن التقاط الأصوات فى (الأستديوهات) وما يعانيه الممثلون والممثلات . والتفت حوله جمع من الناس وأقبلوا عليه بمجامعهم ؛

يستمعون منه ، معجبين به، بل وديدنهم لو أبطل صاحب الخيالة خيالته ليتم له هو حديثه .

من ذلك تعلم أنه تبوأ مكانه بجدارة بين علماء عصره . وكان ركنا عظيما تعتمد عليه وزارة المعارف والمجمع اللغوى والهيئات العلمية والأدبية .

وكان إذا أراد أن يعالج موضوعاً عالجه غيره من المحدثين لا يطلع على ما كتبه ذلك الغير إلا بعد أن يكتب . وكان فى كبره لايهاجم من يخطئون كما كان يفعل أيام شبابه ، ولكنه كان يرد عليهم فى أثناء بحثه من غير إشارة إليهم ومن غير أن يسمهم من قرب أو من بعد .

وكان موضع الثقة من كثير من العلماء الأعلام ، يراسلونه ويستفتونه فى كثير من المسائل التى يشتبه عليهم الأمر فيها ، أو لا يهتدون إلى مصادرها ، ومن هؤلاء الفضلاء الأب أنستاس مارى الكرملى ؛ فان رسائله لم تنقطع عنه حتى فى أيام مرضه الأخير. وكان الأب على جلالة قدره يعترف له بالفضل والأستاذية ، كما كان يعترف غيره . كتب إليه يوماً يقول : « . . . جاءنى كتابك وفيه من سبحات النور ما جعلنى أدعو الله أن يزيدك فضلاً وعلماً للمستجيرين بك واللائذين إلى بحر عرفانك الجم . ولو كان فى الاسلام فى عصرنا هذا عشرة مثلك فى مصر . لانتقل الخلفاء جميعهم إلى هذه الديار المباركة للاقتباس من فيض نورك المتدفق... الخ » .

وكان فى جلسات المجمع الأصلية والفرعية إذا أشكل أمر أو أظلمت مسألة خرج هو على الأعضاء بما يزيل اللبس ويكشف الغموض والابهام . وكانوا جميعاً يعترفون له بالسبق ، ويعتبرونه جهيزة تقطع قول كل خطيب . قال الدكتور منصور فهمى بك عضو المجمع اللغوى فى معرض رثائه : « . . . إنّا أمس الأول — حين جمعنى وبعض زملائك حلقة من حلقات المجمع اللغوى — كنا نقول فيما كنا نتفاكر فيه : انتظروا السكندرى ، وأرجئوا المسألة فعند السكندرى علم ما أشكل علينا ، ولديه حل ما استعصى علينا ، والآن يموت حلال المشكلات ، والمرتجى فى اللغة المستعصيات . . . الخ »

وعند ما سافر سنة ١٩١١ إلى مؤتمر المستشرقين فى بلاد اليونان بصحبة المغفور لهم : الأمير فؤاد (جلالة الملك فؤاد) ، وأمير الشعراء أحمد شوقى بك ، وأحمد زكى باشا ، وحفنى ناصف بك ، وغيرهم ، خطب فى موضوع اللغة العربية الفصحى ، وقلة انتشارها بين الغالبية العظمى من أهل الممالك الاسلامية المختلفة ، وعرض على جماعة المستشرقين استفتاء فى رأى المرحوم يعقوب أرتين باشا وكيل وزارة المعارف إذ ذاك ، فى : « هل يجوز أن تحل فى كل بلد لغة أهله العامية — وهى لغة السواد الأعظم — محل اللغة الفصحى فى الكتابة ، وتستعمل فى المخاطبة ؟ » وذكر لغات هذه البلاد العامية ولهجاتها المختلفة ، وأدب كل لغة فى نثرها ونظمها ، وقرأ ذلك من كتاب له غير مطبوع . . . قال إن يعقوب باشا كلفه بوضعه عن لغات هذه الشعوب الاسلامية العامية ، فقضى فى بحث هذه اللغات واللهجات بضع سنين ، واقتبس منها ما دونه فى كتابه المذكور ، وهى لغات العامة فى بلاد العرب والشام والعراق ومصر وتونس والجزائر ومراكش وغيرها من البلاد التى يتكلم أهلها اللغة العربية بلهجتها العامية الخاصة بها . وقد اهتم المستشرقون بهذا البحث وناقشوه فيه ، وقضوا وقتاً طويلا فى مباحثته ومساجلته ، ثم انتهوا من ذلك إلى قرار صريح بأن : « اللغة العربية الفصحى هى اللغة التى تصلح للبلاد الاسلامية العربية للتخاطب والكتابة والتأليف ؛ وأن من واجب حكومات هذه البلاد أن تعنى بنشرها بين الطبقات الشعبية لتقضى على اللهجات العامية التى لا تصلح كلغة أساسية لأمم تجمعها جامعة الدين والعادات والأخلاق » . وكان هذا القرار فوزاً بالغاً له سر به المجمع ، لأنه كان تعززاً لرأيه ضد رأى أرتين باشا ، وهو نصير اللغة العامية ، وإحلالها محل اللغة العربية الفصحى

وفاته

وفى منتصف الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ١٨ من صفر سنة ١٣٥٧ — ١٩ من إبريل سنة ١٩٣٨ : لحق بالرفيق الأعلى ، على أثر مرض ألزمه الفراش أسبوعين ولم يُجْدِ دواء الطبيب ، فلكل أجل كتاب :

دخل الدنيا أناس قبلنا   رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا   ونخليها لقوم بعدنا

محمد أحمد برانق

الاسلام فى فارس

للأديب حسن حبشي

لعل أبلغ معجزة للاسلام هى تلك السرعة التى وسم بها انتشاره فى رحاب المعمورة ، حتى لقد خفق لواؤه فى مدى قرن من الزمان على كثير من بلدان آسيا وإفريقيّة ، وتغلغلت شريعته وحبه والايمان به فى نفوس قوم درجوا على الشرك ، وكانوا لا يألون جهداً — هم وأسلافهم من قبل — فى صدّ كل عادية عنه . ومن مظاهر هذه المعجزة إسلام التتر بعد أن كاد الاسلام أن يحتضر من خطبهم وتدميرهم ، فلقد كانوا « المصيبة الكبرى التى عقّمت الأيام والليالى عن مثلها ، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها[1] » فاذا هم — بعد اعتناقهم إياه — من أكبر الذائدين عن حياضه ، المدافعين عن بيضته . ويذهب السير توماس أرنولد فى تعليله لهذا الانتشار والسبق الذى اختُص به الاسلام دون غيره إلى ما اتّسمت به العقيدة الاسلامية من بساطة لا تعقيد فيهـا ، وإلى وحدانية الله ، وإلى أن محمداً عبده ورسوله[2]

لقد درج الاسلام فى بلاد الحجاز ، ثم ما لبث أن اتسعت رقعته وامتدت فتوحه شرقاً وغرباً فأصبحت العراق وفارس ومصر والشام وفلسطين وبلاد الخزر وإفريقية والنوبة والهنـد إمارات إسلامية قد انتقلت من الشرك والاضطهاد والنضوب الفكرى إلى وحدانية مشرقة ، وعدل أظل الجميع بفيئه ، ونهضة اجتماعية وذهنية غيرت معالم الحياة بأسرها . ولا غرو فالاسلام فى جوهره دين عقل بأوسع ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى[3]

وتاريخ الاسلام فى مبدئه هو تاريخ تلك الأقطار المفتوحة ، وحسبنا فى هذا البحث الموجز أن نرى مدى انتشاره فى إيران وإن ذهب أهلها شيعاً وتباينوا عقائد

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ (طبعة مصر سنة ١٣٠١ هـ) ج ١٢ ص ١٦٤ - ١٦٥

(٢) Sir Thomas Arnold : Preaching of Islam (Luzac 1935. P. 413.

(٣) E. Montet : La propagande chrétienne et ses adversaires musulmans (Paris 1890) P. 17

ويرتبط تاريخ إيران الاسلامية أيما ارتباط بهذه الجماعات التى كانت تفد عليها متاجرة أو مهاجرة من جهة ، ومن جهة أخرى بتاريخ الملوك والخانات الذين كان لبعضهم فضل الجهاد فى سبيل نشر الدين ، وإن وجدوا فى كثير من الأحيان إقبالاً من الشعب نفسه يرجع فى جرثومته إلى أسباب عدة ليس هذا مجال بحثها . كما أن بعض القواد لم يدخر وسعاً فى سبيل نشر الاسلام فكان ابن القاسم فاتح بلاد الهند داعيةً من دعاته ، وأحد الحريصين على بث مبادئه العاملين على بسط نفوذه ، فلقد عرض على أسراء الهنود اعتناقه[1] ، ولم يكن الطمع فى الغنيمة فحسب هو الدافع للجند العرب المسلمين على الاستبسال والاستماتة فى هذه الفتوح العظيمة[2] ؛ تلك الروح التى تتمثل فى قول خالد ابن الوليد حين لاقاه أهل الحيرة فقال لهم « أدعوكم إلى الاسلام فان أنتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، وإن أبيتم فأعطوا الجزية ، فان أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة[3] »

***

لقد كان فتح العرب لبلاد فارس حادثاً جـديداً فى تاريخ الاسلام من الناحيتين الفكرية والاجتماعية ، كما كان له أثره القوى فيما بعد ـ فى الناحية السياسية والدينية لما ظهر عند أهله من هوى عنيف المذهب الشيعى ، وإن أرجع بعض المستشرقين هذا الميل إلى زواج الحسين بن علىّ « بشاه بانو » إحدى بنات يزدجرد الثالث آخر ملوك آل ساسان ، ومن زعماء هذا الرأي الأستاذ جولد تسيهر .

دخل المسلمون هذه البلاد الغريبة عنهم فى حضارتها وتاريخها ونظمها السياسية وتفكيرها ، فكان ثمت احتكاك تولدت عنه نزعات جديدة فى كل هذه الأمور ، ولعبت العصبية القومية دوراً خطيراً على مسرح الحياة العامة فكانت دعامة الدعائم فى قيام الدولة العباسية التى اتخذت عاصمتها فى بلد ينزع أهله إلى تأييدها[4]

(١) Wiot : Hist. of India. Vol I P. 175

(٢) H. A. R. Gibb : The Arab Conquests in Central Asia

(٣) أبو يوسف : كتاب الخراج (مصر ١٣٠٢ هـ) ص ٨٤

(٤) Cf : Le Strange : Bagdad under the Abbasid Caliphate ch I. pp. 1—h.

كانت بلاد الفرس وقت أن دخلها العرب مللاً متباينة ، ونحلا مختلفة متنازعة ، فهناك الصابئة والمجوس وأتباع مانى وزرادشت ، وهناك أهل الكتاب من يهود ونصارى ، فكان القوم بين مشرك ووثنى وموحد ومثلث ، فلم يكن الاضطراب سياسيا فحسب ، بل كان دينيا كذلك . فوجد العرب هذه البلاد على حال من الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية ، فكان العبء عليهم ثقيلا ، وكانت التركة بين أيديهم تتطلب منهم سياسة حكيمة ماهرة ، حتى يستطيعوا أن يهيئوها لغد يزهو على الأمس ، ويجعلوا من أهلها دعاة للحنيفية السمحاء .

لقد مرت القرون تترى والقوم مقيمون على الشرك وعبادة النار والنجوم ، فما أهل الاسلام عليهم بنوره حتى تسارعوا زمراً لاعتناقه والدفاع عنه ، فكان أئمة الدين وجلة علمائه من أهل فارس حتى لقد لاحظ ذلك ابن خلدون فقال : « من الغريب الواقع أن حملة العلم فى الملة الاسلامية أكثرهم العجم ، لا من العلوم الشرعية ، ولا من العلوم العقلية إلا فى القليل النادر وإن كان منهم العربي فى نسبته فهو عجمى فى لغته ومرباه ومشيخته مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربى [1] » وكان أشد المدافعين عن الدين وعن العرب من رجال الفرس حتى فى الأوقات التى ظهرت فيها العصبية القومية بأجلى معانيها ، وفى الوقت الذى أطلت فيه الشعوبية تزعم ما تزعم من جحود ونكران للواقع ، وكأن هذا الميل القوى للاسلام لم يرق فى نظر البعض فذهب Dozy إلى أن مرجع اعتناق الفرس للاسلام أنهم ألفوا فى القرآن الأركان الأساسية لدياناتهم القديمة وإن اختلفت قليلا ، فلم يكن من العسير على الفارسى أن يقبل على عبادة اهرمزدا واهريمان إلهى الخير والشر حيث استترا وراء كلتى الله وإبليس فى الديانة الجديدة، كما يقول إن الاسلام اتفق والوثنية الفارسية القديمة فى القول بخلق الانسان ووجود الملائكة والبعث يوم القيامة وعودة الروح والجسم ثانية وفى فكرة الجحيم والجنة ، فالتقت العقيدة القديمة والدين الجديد فى هذه النواحى [1] . وغرض دوزى من ذلك الطعن فى إسلام الجماعة الأولى من أهل فارس ، وتجاهل هذه الروح الكريمة التى امتاز بها الاسلام، والتى لا زال يغزو بها القلوب حتى فى عصر المادة فلا كبرياء ولا أرستقراطية مستهجنة [2] »

لم يقتصر فضل الاسلام على الناحية السياسية وانتشال البلاد من التدهور الاجتماعى ، بل تعداها إلى الناحية الدينية بين القوم وغيرهم من أهل الكتاب من النصارى واليهود ، فعامل الجميع معاملة حببت الجماعة فيه ، ولم يرغمهم على التصديق به والايمان برسالته وإنما حاجهم فان أبوا فليس إلا الجزية ، إذ «هى واجبة على جميع أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة [3] »

ولم تكن هذه الجزية دينية بحتة ، وإنما كانت كذلك للقيام بالمحافظة على دافعيها وضمان سلامتهم ، فى ظل هذا النظام الجديد الذى لم يألفوه من قبل أيام دولة الأكاسرة التى استبدت وبطشت بالمسيحيين وعصفت بهم ولم تحترم شعورهم ، بل كانت شديدة الوطأة عليهم فلاقى من عنتها اليعقوبيون والنسطوريون ألواناً من العذاب والتنكيل واضطربت أمورهم فى أيامها . أما المجوس فقد اكتفى العرب منهم بالجزية ، فلقد قال أبو يوسف [4] إنه « ذكر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قوم يعبدون النار ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا أهل كتاب (يعنى المجوس) فقال عمر ما أدرى ما أصنع بهؤلاء ؟ فقام عبد الرحمن بن عوف فقال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » وذكر أنه « كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن

(١) ابن خلدون : المقدمة (طبعة المطبعة البهية بمصر) ص ٤٩٩

(١) Dozy : Essai sur l'hist de l'islamisme (Lyden) P. 156.

(٢) راجع فى الفخر (طبعة مطبعة الموسوعات ١٣١٧ هـ) ص ٧٣ — ٧٤ قصة ورود نبأ انتصار العرب فى فتح فارس إلى عمر بن الخطاب ففيها أبلغ الدلالة على الديمقراطية العربية

(٣) أبو يوسف : نفس المرجع ص ٦٩

(٤) أبو يوسف الخراج ص ٧٤

ساوى أن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم ، له ذمة الله وذمة رسوله فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن ومن أبى فعلية الجزية [١] »

يقول الأمير كايتانى Caetani « لقد كان الاضطراب المعنوى الذى ملأ أذهان المسيحيين يسير جنباً إلى جنب مع الفوضى السياسية فى الدولة ، وإذ شغلهم توالى نزول هذه الكوارث والتدهور الخلقى الذى حاق بهم من جراء هذا الصراع المنيف بين المذاهب المتنافرة الموجودة بينهم فلقد مالوا إلى هذا النمط الذهني العجيب الذى يسهل على العقيدة الجديدة أن تتمكن فيه . ولقد كان أهل فارس — وخاصة الأجناس السامية — فى نفس هذه الحال الذهنية مما جعلهم يرحّبون بالثورة الاسلامية التى سرعان ما أزالت من طريقها فساد الماضى ، وساعدها على ذلك ما امتازت به العقيدة الجديدة من بساطة خالصة ، هيأت النفوس لعهد جديد فائض بالآمال وخلصت القوم من الرق » ... لقد شهد بذلك كيتانى وهو من هو فى دراسته للتاريخ الإسلامي والعقلية الاسلامية[٢]

وكان دخول الاسلام بلاد فارس مؤذناً بعصر جديد من التحرر الفكرى ، كما رأى فيه المسيحيون مخلصاً لهم — كما يقول أرنولد — من استبداد ملوك آل ساسان ، ولم يركن المسلمون إلى الشدة والعنف فى سبيل بث مبادئ دينهم هناك ، وما كان إسلام القوم — من مجوس وصابئة ومانوية — عن طريق السيف إذ (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وما كان الاسلام وهو دين العقل ليحاول أن يخرج عما رسمه من حدود النقاش. وحسبه أن يعرض للأمر من جميع نواحيه فلا يزال يدعمه بالحجة والبرهان الصادقين فى منطق مستقيم حتى يأخذ به من اتبع العقل ولم يُكابر فى الحق . وإذا كانت هناك بعثات تبشيرية فإنها لم تكن تسير على خطة دبرها البعض ، وإنما هيأتها الظروف

(١) أبو يوسف : كتاب الخراج ص ٧٥ — ٧٦

(٢) Sir T. Arnold : Op. cit. P.P. 207—208

والملابسات وطبيعة الحياة كما كانت مدفوعة بإيمانها الصادق. وكان أغلب هذه الجماعات التى قامت بالتبشير فى فارس والهند وبلاد آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر من التجار الذين كانوا حلقة اتصال بين الوثنيين وبين الاسلام أو بين ماض مشرك ومستقبل لا يقر إلا بالوحدانية (قل هو الله أحد الله الصمد) ترفع عن الماديات (لم يلد ولم يولد) وجلّ عن كل ما يخاله الذهن البشرى القاصر عن إدراك ذاته (ولم يكن له كفواً أحد) ؛ فالعامل الأساسى فى تاريخ الفتوح الاسلامية كما يقول الأستاذ جب إنما هو هذا التبادل الدائم بين أهل الأقطار المفتوحة وبين العرب[١]

حسن حبشى

(١) H. A. R. Gibb : Op. cit. P. 4

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي[1]

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٠ —

« أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر ، والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها ، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في حياتها وسمو غايتها ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة ؛ ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا ، ثم إنه يخيل إلي دائماً أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه ... » الرافعي

مقالاته للرسالة

سأحاول في هذا الفصل أن أتحدث عن كل مقالة من المقالات التي أملاها عليّ الرافعي في الفترة التي صحبته فيها منذ بدأ العمل في الرسالة حتى صيف سنة ١٩٣٥ ؛ وما يجهل القراء أن كل مقالة يكتبها كاتب لها ظروفها وملابساتها ودوافعها ، وما يجهلون أن لكل كاتب عند كل مقالة يكتبها حالةً نفسية خاصة يظهر أثرها فيما يكتبه ، وإني لأعلم أن هذا التاريخ لا يتم تمامه في نفسي ولا يتأدّى مُؤدّاه إلى قارئه على وجهه إلا أن أثبت بعض ما أذكر من دوافع الرافعي إلى كل مقال مما أملاه عليّ ؛ وإني بهذا الفصل لأحاول جديداً في فن الترجمة ؛ فما أعرف كاتباً من كتاب التراجم في العربية حفل بهذا الباب في تاريخ الأدباء ، على أن له أثراً أي أثر في دراسة أدب المترجم يعين على فهمه وتصويب الحكم عليه ؛ فمن ذلك كانت عنايتي بهذا الباب ، وإني لأرجو أن تسعفني الذاكرة على تمامه حتى أبلغ منه إلى ما أريد ...

* * *

لم يكن بين الرافعي والزيات صلةٌ ما قبل صدور الرسالة ، إلا صلة الأديب بالأديب ، وما أحسبهما التقيا قبلها قط إلا في كتبهما ورسائلهما . ثم صدرت الرسالة فكانت بريد الأدباء عامة إلى الأدباء عامة ؛ وكانت بريد الزيات إلى الرافعي ، فتعارفا وأتلفا وإن لم يلتقيا وجهاً لوجه ... ومضت أشهر ...

وتصفّحتُ الرسالة ذات مساء من صيف سنة ١٩٣٣ ؛ فإذا فيها كلمة عن « أوراق الورد[1] » للزيات ، يجيب فيها فتاة سألته أن يرشدها إلى شيء مما كتب أدباء العربية في رسائل الحب . ومضت فترة وكتبت الفتاة « عفيفة السيد ... » رأيها في أوراق الورد فعابته ونزلت به منزلة . وكان الرافعي في هذه الأثناء بعيداً عن طنطا يصطاف في « سيدي بشر » ، وكان عليّ في هذه الفترة ، والرافعي بعيد عن ميدان الأدب في مصطافه ، أن أجمع له كل ما يهمه أن يقرأ مما كتبت الصحف ؛ فلما قرأت ما كتب الزيات وما ردّت به الفتاة ، قصصته من صحيفته وبعثت به إليه في سيدي بشر ومعه رسالة مني ... وقرأ الرافعي ما بعثت إليه ، فانتضى قلمه وكتب كلمة للرسالة يردّ بها رأي الفتاة . وكانت كلمة قاسية لم يجدها الزيات إلا فصلاً من « على السفود[2] » لا تقوى على لدعاته الفتاة الناعمة ... فطوى الزيات كلمة الرافعي ونشر كلمة في الرسالة يعتذر بها إليه وإلى القراء ، ويرجوه بهذه المناسبة أن يكتب للرسالة شيئاً من منثور أوراق الورد ... ولم يجب الرافعي هذه الدعوة إلا بعد بضعة أشهر

كانت كلمة الرافعي إلى « عفيفة السيد » عن أوراق الورد هي أول ما أنشأ للرسالة من مقالاته ، ولم تنشر . ثم سعى إليه يوماً شاب من المرتزقين بمراسلة الصحف اسمه « يوسف ... » وكان

---

(١) العدد ٢٠٨

(١) أوراق الورد ، هو الكتاب الثالث من كتب الرافعي في فلسفة الجمال والحب ، وهو الفصل الأخير من قصة (حب الرافعي) ورأيي فيه منشور في الأعداد السابقة من الرسالة

(٢) على السفود : هو كتاب الرافعي والعقاد ، ولي فيه رأي منشور بالعدد ٢٤١ من الرسالة ، على أني أعترف على نفسي بأني كنت قليل التجربة يوم حكمت حكمي على هذا الكتاب ؛ فإن من الناس طائفة لا يمكن مناقشتها إلا بمثل أسلوب « على السفود »

الرافعي يعطف عليه ويعينه على العيش بما يحسن إليه ؛ وإذ كان الرافعي لا يملك أن يحسن إليه بالمال — والمال في يده قليل — فانه كان يحسن إليه بما يملي عليه من رسائل الأدب ، ليأخذها فيبيعها إلى بعض المجلات فيستعين بما تدفع إليه من ثمنها على حاجات الحياة ، وهو ضرب من الاحسان على قدر طاقة الرافعي !

... جاء هذا الشاب يسأله ويطلب منه الجواب : « لماذا لا تعالج القصة ؟ »

وأملى عليه الرافعي جوابه ، فذهب فنشره في الرسالة بعنوان « فلسفة القصة » . وكانت أول ما نشر للرافعي في الرسالة [1]

ثم كان عيد الهجرة بعد ذلك بقليل ، فطلبت الرسالة إلى الرافعي أن يكتب فصلاً للعدد الممتاز ؛ فأنشأ مقالة « وحي الهجرة في نفسي » [2] ؛ وهو فصل كان يعتز به الرافعي اعتزازاً كبيراً ويتمنى لو أتيحت له الفرصة ليتم الحديث عن « فلسفة » حياة محمد (صلى الله عليه وسلم) على هذا النهج، ليكون كتاباً بتمامه عن السيرة النبوية على نسق غير النسق الذي جرى عليه « القصّاص » ممن كتبوا عن حياة محمد ...

ومضى شهر ، وأهدى إليه الشاعر محمود أبو الوفا « ديوان الأعشاب » وكان مرجوًّا أن يكتب عنه ؛ إذ كان المقصود من طبع هذا الديوان — وطابعه غير صاحبه — أن يكون إعانة مادية لناظمه توسّع عليه ما ضاق من دنياه... !

وقرأ الرافعي ديوان الأعشاب ثم ... ثم هزّته أريحيته إلى أن يكتب عنه ، تحقيقاً لرجاء الراجين فيه ، وبرًّا بصاحبه . وأبت كبرياؤه أن يكتبه مقالاً يعنونه بعنوانه ويذيله باسمه ؛ فدعاني إليه واصطنع حديثاً بيني وبينه فأملاه عليّ لينشر في الرسالة مذيلاً باسمي ؛ وما كان بيني وبينه حديث في شيء، ولكنها مقالة تواضعت من كبرياء فسماها حديثاً ... وأرضى كبرياءه وعاطفته الرحيمة في وقت معاً .

(١) العدد ٤٠ سنة ١٩٣٤ من الرسالة
(٢) العدد ٦٢ سنة ١٩٣٦ من الرسالة

كان الرافعي في حرج وهو يملي عليّ هذا الحديث ؛ إذ كان يخشى أن يناقض نفسه في الرأي وهو يكتب عن هذا الشعر رعاية لصديق ، ولكنه خرج من هذا الحرج بحسن احتياله ، فجعل أكثر مقاله عن الشعر بمعناه العام ورأيه فيه ومذهبه منه ؛ ثم خص الديوان بكلمات في خاتمة الحديث كانت هي خلاصة الرأي فيه ؛ وبذلك برئ من الاسراف في المدح ومن الايلام في النقد ، وخرج من الأمرين معاً إلى تحديد معنى الشعر ووسائله وغايته . فأجاد وأفاد في باب من القول له منزلة ومقدار .

ومن كلامه في هذا الحديث :

« متى ذهبت لتحتج لزيغ الشعر من قِبَل الفلسفة ، وتدفع عن ضعفه بحجة العلم ، وتعتل لتصحيح فساده بالفن ؛ فذلك عينه هو دليلنا نحن على أن هذا الشعر ... لم يستو في تركيبه ، ولم يأت على طبعه ، ولم يخرج في صورته ؛ وما يكون الدليل على الشعر من رأي ناظمه وافتتانه به ودفاعه عنه ؛ ولكن من إحساس قارئه واهتزازه له وتأثره به ... » [1]

ونشر هذا الحديث في الرسالة ، ومضى شهر آخر ... ثم جاء البريد ذات صباح إلى الرافعي بكتاب من الزيات ، يعرض عليه أن يكون معه في تحرير الرسالة بمقالة ينشرها كل أسبوع أو كل أسبوعين ، وقدر له أجرا ... وقَبِل الرافعي ، وما كان له بدٌّ من أن يقبل ، لبعض ما قدمت من الحديث عن شئونه الخاصة في هذه الفترة من حياته . وكانت مقالته الأولى بعد هذه الدعوة ، هي مقالة « لا تجني الصحافة على الأدب ولكن على فنّيّته » [2]

وتوالت مقالات الرافعي بعد ذلك في الرسالة ، فنشر في الأسبوع التالي مقالة « الاشراق الإلهي وفلسفة الاسلام » وأحسبه اختار هذا الموضوع — على انقطاع الصلة بينه وبين الموضوع السابق — احتفاء بالمولد النبوي ؛ إذ كان هذا موسمه ثم نشر « موت أم » وهي صورة حية نابضة لصبيّة فقدوا

(١) العدد ٤٦ سنة ١٩٣٤ الرسالة
(٢) العدد ٥٠ سنة ١٩٣٤ الرسالة

أمهم وما يزال أكبرهم فى الثامنة ؛ وهى صورة حقيقية مرّت أمام عينيه فانفعلت بها نفسه ؛ أما هذه الأم فهى زوج صديقنا الأستاذ حسنين مخلوف ، وأما هؤلاء الصِّبية فبنوها ؛ اهتصرها الموت فى ريعانها فقضت وخلّفت وراءها أربعة ، فبكاها الرافعى بكاء الوالد ؛ وما أعلم أنه مشى فى جنازة قبل جنازتها ، ودفنت فى مقبرة آل الرافعى بطنطا . ولما عاد الرافعى من الجنازة ليعزى الأستاذ مخلوفاً فى داره ، دعا بولده ليمسح على رأسه ويسرّى عنه ، فكان بين عينيه وعينَى الطفل حديث طويل ؛ فما غادر مجلسه إلا ورأسه يفيض بشتى المعانى وقلبه يختلج بفيض غامر من الألم ، وعيناه تترقرق فيهما الدموع !

وروّح إلى داره فجلس إلى مكتبه يفكر ... ومضى يوم ثم أرسل يدعونى إليه فأملى علىّ « موت أم ! »

وكان فى الأسبوع التالى موعد امتحان الشهادة الابتدائية فكانت مقالتــه « حديث قطّين » وإنها لتتحدث بنفسها عن مناسبتها . وإن فيها لشيئاً من خلق الرافعى لم يكن يعرفه إلا الخاصة من أصحابه ، ذلك هو طبيعة (الرضا) بما هو كائن ؛ فقد كان ذلك من ألزم صفاته له ؛ فكان دائماً باسماً منبسط الوجه ، يقنع نفسه فى كل يوم بأنه فى أسعد أيامه ؛ فمن ذلك كان يحاول أن يجعل من كل ألم يناله لذة يُشعر بها نفسه ، ومن كل فادحة تنزل به خيراً يترقبه ويهيء له . ولعل أحداً لا يعرف أن الرافعي لم يكن يرى فى تلك العلة التى ذهبت بسمعه وما يزال غلاماً ، إلا نعمةً هيأتــه لهذا النبوغ العقلى الذى أملى به فى تاريخ الأدب فصلاً لم يُكتب مثله فى العربية منذ قرون ! ولا شيء غير الإيمان بحكمة القدَر وقانونِ التعويض يجعل الإنسان أقوى على مكافحة أحداث الزمن فلا تأخذ منه النوازل بقدر ما تعطيه ... وذلك بعض إيمان الرافعى !

هذا الخُلق هو المحور الذى كان يدور حوله الحديث الذي اصطنعه الرافعي على لسان القِطّين ؛ وهو الذي حمله من بعد على إنشاء مقالتى « سمو الفقر » فى العددين التاليين من الرسالة ؛ والشيء يُذكر بالشيء ؛ فلولا ما جاء فى امتحان الشهادة الابتدائية لذلك العام ما أنشأ الرافعي حديث قطين ، ولولا ما ألهمه حديث القطين من المعانى فى فلسفة الرضا ما أنشأ مقالتى سموّ الفقر ؛ فى هذه المقالات الثلاث موضوعٌ واحد اختلف عنوانه واتحدت غايته وكانت مناسبتُــه ما قدّمْت ...

ثم أنشأ مقالة « أحلام فى الشارع » وقصتها أننى كنت أسامر الرافعى أحياناً فى قهوة (لمنوس) بطنطا أو فى السينما ؛ فاذا ما انتهت السهرة صحبته إلى قريب من داره ثم أروح وحدى، وكنا نمر فى طريقنا كل ليلة بدار (بنك مصر) ، ففى ليلة ما كنا عائدين من السينما وقد انتصف الليل ؛ فلما صرنا قبالة (البنك) وقف الرافعى هنيهة ليشهد منظراً استرعى انتباهه : طفل وطفلة من أبناء الشوارع نائمان على عتبة البنك ، وقد توسّدت الفتاة ذراعاً وألقت ذراعاً على أخيها ... ووقف الرافعى ووقفْت ... ورأى الشرطىّ ما رأينا فأسرع إلى الطفلين ...

وفي الغد أملى علىّ الرافعى مقالة « أحلام فى الشارع ! »

... وكانت المقالة التالية « فى اللهب ولا تحترق ! »

وهى الممثلة الراقصة المغنية ف... وكانت تعمل فى فرقة من الفرق التمثيلية المتنقلة بين الحواضر ، حلت مع فرقتها فى طنطا فى صيف سنة ١٩٣٤ ، ولسبب ما لم يذهب الرافعي إلى مصيفه فى سيدى بشر هذا العام ، واستغنى عن البحر والمصيف بما قد يكون فى طنطا من أسباب اللذات والرياضة ؛ وإن فيها لَغَنَاء وعوضًا ...

وكنا ثلاثة من أصدقاء الرافعى نسمر معه كل مساء (س ، ا ، ع) وجلسنا حوله ذات ليلة ، وكان متعبا مكدوداً يشعر بحاجته إلى لون من ألوان الرياضة يرد إليه نشاطه وانبساطه ؛ قال : « أين تقترحون أن نقضى الليلة ؟ »

قال ا : « إن فى متنزه البلدية فرقة تمثيلية ، هبطت المدينة منذ أيام ، وإن فيها المغنية راقصة ، أحسبها خليقةً أن توحى إليك بفصل جديد من أوراق الورد ! »

فطّ الرافعى شفتيه ولم يعجبه الاقتراح . وأحسب أن الصديقين ا و ع كانا على رغبة مشتركة فى هذه السهرة ، فما أحسّا رفض الرافعي حتى قال ع : « . . . ولكنها راقصة

ليست كالراقصات : إنها صوّامةٌ قوّامة ، تصوم الشهر وستة أيام بعده ، وتقوم الليل إلا أقلّه ، وتصلي الخمس في مواعيد الخمس ؛ وما أحسب رقصها وغناءها إلا تسبيحاً وعبادة . . . إنها . . . ! »

مغنية وراقصة ، ولكنها صوامة قوامة ... ياعجبا ! وهل في الراقصات كهذه التي يصفها الصديق العابث ع ؟ ... ولكن الرافعي صدّق، وعرف الصديق طريق الاقتناع إلى قلب الرافعي . واتفقنا على الرأي . . .

« هذه هي الراقصة التي أعني ... » هكذا قال الصديق (ع) فاشرأب الرافعي ينظر من وراء الصفوف . لقد رآها ، ولكنها لم تكن أمام عينيه كما هي في أعين هؤلاء الناس . . . كانت تحت عينيه إنسانة أخرى لها طهر وقداسة واحترام ...

هذا الصدر الناهد ، وهذه الساق الفناء ، وذلك القوام الأهيف ، وهاتان العينان الحالمتان ، وهذا الخد الناضر ، وهذه الشفة الباسمة ، وذلك الشعر اللامع ... هذه كلها سحر وفتنة ، تمترك حولها شهوات الرجال ، وتترامى إليها أماني الشباب ؛ ولكن رجلاً واحداً بين النظارة لم يكن يبصر شيئاً من ذلك : رجلاً لم يكن أحد فيمن أعرف أضعفَ منه بإزاء سحر المرأة ، ولكنه الليلة شخص غير من أعرف ؛ ولكن هذه الراقصة بإزائه غيرها بإزاء الناس ... هي في عين الجميع (أنثى) فاتنة ، ولكنها بعينيه هو قديسةٌ تستحق التبجيل والاحترام ...

كانت على عين الجميع راقصة تغني، وكانت بعينيه عابدة تسبّح وتصلي ... كان الناس ينظرون إلى الراقصة وهي تفتنُ في إغراء الرجال بالنغمة والحركة والأُنـوثة الفاتنة ، وكان الرافعي ينظر في أعماق نفسه إلى صورة أخرى رسمها من خياله فقامت حياله تريه مالا يراه الناس !

وانفض الساهرون إلا قليلا تحلّقوا حول الموائد يقرعون كأساً بكأس ، ونهض الرافعي فيمن نهض ...

ومضى يومان ، ثم دعاني ليملي عليّ مقالة « في اللهب ولا تحترق ! »

ولما فرغ الرافعي من شأن هذه المقالة ، دعا إليه بصديقه (ع) يستزيده من خبر هذه الياقوتة الكريمة ، ويسأله الوسيلة إلى لقائها إن كان بينهما سبيل ، لعل اجتماعاً بينها وبين الرافعي يفتق ذهنه عن موضوع جديد يكتبه لقراء الرسالة ؛ فابتسم الصديق (ع) وقد دبر في نفسه حيلة تجمع بينها وبينه ؛ وهل يعجزه هو — وهو مَن هو — أن يجد وسيلة لمثل هذا اللقاء ليمضي في مَزْحَته إلى النهاية ؟

وذهب (ع) يسأل عن الراقصة ويستقصي خبرها فعرف ... لقد فرّت (الياقوتة) مع موسيقيّ الفرقة ، ومضي زوجها في أثرها ، فانحلت الفرقة وغادرت المدينة

وجاء النبأ إلى الرافعي ؛ فما عرف إلا من بَعد أنها كانت مزحة من الصديق ع فأسرّها في نفسه . . .

وعاد الرافعي إلى المقال يقرؤه منشوراً في الرسالة وهو يضحك ويقول : « أهذا ممكن ؟ أهذا مما يكون ؟ أتكون في اللهب ولا تحترق ؟ »

فرد الصديق (ع) قائلاً : « لقد احترقت ! »

وكانت كذبة ، ولكنها أنشأت مقالة لم يُنشأ مثلها فيما قرأت من روائع الأدب العربي !

(شبرا) محمد سعيد العريان

بين العقاد والرافعي

مناقشـــات وشروح

للأستاذ سيد قطب

— ١١ —

عتب علي كثير من الاخوان، وكثير من القراء، انشغالي في بعض الأحيان بالردود على بعض من كتبوا في الرسالة — عن الموضوع الأصيل الذي اخترت الحديث فيه، وعن شرح الآراء العامة التي أدليت بها في أدب العقاد وأدب الرافعي، وسوق الأمثلة وتقرير الحقائق

وعند هؤلاء الاخوان أن آخذ بسبيلي في الموضوع الأصيل غير ملتفت إلى شيء مما يقال — لأنه لم يقل شيء يستحق العناية به — وهذا كان رأيي الذي صرحت به مرة ومرة

وبودي لو أطعت هؤلاء الراغبين في الاستفادة، ولم ألق بالي إلى شيء مما يقال، ولكنني في الواقع أرى هناك ارتباطاً وثيقاً بين الموضوع ذاته وبين المناقشات التي تدور حوله، لا في موضوعها وقيمتها، ولكن في شكلها وبواعثها

وأفسر هذا فأقول: إن المدرسة العقادية تعنى بتصحيح المقاييس الأدبية عنايتها بتصحيح المقاييس النفسية، وقد أوردت من هذا نماذج في شعر العقاد، عن «عدل الموازين. والعبوسة والبشاشة. ودرجات الفضائل... الخ» فاذا ما عنيت بمناقشة الأستاذ العريان، والأستاذ مظهر، أو سواهما، فانما أوجه عنايتي إلى «كشف» العوامل النفسية التي تبعثهما على الكتابة، وإلى «فضح» الظواهر المصطنعة التي تبدو فيها الأحكام، وإلى «تشخيص» العنت و«المدالة الزائفة» في إصدارها

وهذا كله يعني المدرسة الحديثة عنايتها بالآراء الأدبية ذاتها، فما تقصد هذه المدرسة إلى تصحيح معايير الآداب والفنون، إلا وهي تعنى من ذلك تصحيح الأمزجة والنفوس. وهي لا تقصد بهذا الدعوة إلى المبادىء الخلقية التي يحترمها الناس بقوة العرف والاستمرار، ولكن تريد أن تصح النفوس فتكون هذه المبادىء أثراً لتفاعلها مع الحياة، أو جزءاً من غذائها اليومي الذي يدخل في كيانها، لا أن تكون كالثوب تلبسه وتخلعه حسب المناسبات!

ومن هنا كشفت عن «المدالة الفريدة» التي تصف رد العقاد على الرافعي بأنه «سباب وشتائم» وتصف نقد الرافعي بأنه «منزه عن العيوب» وكان هذا الكشف بالأمثلة التي لا تدع قولاً لقائل!

ومن هنا كذلك كشفت عن «النزاهة العجيبة» في وصف الدفاع عن العقاد ومدرسته بالشذوذ ومناصرة شخص على شخص ووصف «على السفود» بأنه «مثال يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص» وجئت كذلك بما استطعت أن أنقله عن الرافعي من أسلوب في شتم العقاد!

وأنا أعتبر هذا جزءا من تصحيح أساليب الأدب — باعتباره وسيلة لتصحيح النفوس — ولا أدري أنني عدوت الموضوع الذي أتحدث فيه على هذا الاعتبار.

فأما الواقع فإنني أعجب لهذه الكثرة التي كتبت ترد على دون أن تقول شيئاً في «الموضوع» مع مطالبتها لي أن أترك «الذاتية» وأتناول «الموضوعية» في أدب العقاد وأدب الرافعي!

وها أنذا أراجع كل ما قيل. فماذا أرى؟

كل ما كتبه أنصار الرافعي، إنما هو شتائم شخصية، لسيد قطب، أكثرها في أدبه وخلقه ونفسه — وهو خارج نهائياً على الموضوع — وأقلها في تفكيره واستعداده واطلاعه — وهو قد يتصل بالموضوع — ولكن بدون دليل، إلا إشارات البكم، وتعبيرات العوام عن المسائل المبهمة في نفوسهم، التي لا يحسنون التعبير عنها ولا يقدمون الدليل.

أفيعنيكم — ياهؤلاء جميعاً — أن تشتموا كاتب هذه الكلمات؟ لئن كان الأمر هكذا فأنا معكم أعاونكم في شتمه إذا عجزتم، وأصرح لكم عنه بما يمنعكم خوف تقاليد الأخلاق — لا حياء نفوسكم — من التصريح به!

ولكن ماذا يعني هذا، وأي شيء يكون قد استوى لكم، أو للمتأدبين والقراء؟ إنه ليبقى وراء ذلك آراء أبديت في أدب الرجلين وأمثلة قدمت لهذه الآراء، وشروح تضمنت بعض النظريات في الأدب وفي الحياة؟ وكل هذا قد بقي سليما كما هو،

لم تتناوله ردودكم ومناقشاتكم ، لأن شتيمة كاتب معين شغلتكم عن كل ما عداه من الآراء والأمثال !

ولقد أظهرت هذه المعركة أنكم تمضون فى الشتائم والتهم فينفسح لكم المجال ، حتى إذا قاربتم « الموضوع » وأردتم مناقشة الأمثلة ، ظهر العجز الفاضح والقصور فى الفهم والاطلاع . ليست كلمات الأستاذ « الطنطاوى » ببعيدة ، وقد عجبت لاستطاعة الأستاذ « عبد الوهاب الأمين » أن يصبر على مناقشتها كما عجبت لصبر الأستاذ « كامل نصيف » فى الرد عليها ، فى حين لم أجدنى مستطيعا — على فرط المحاولة — أن أنظر إليها كشىء يستحق الالتفات !

وكيف يمكن أن تلتفت مثلا لرجل يكاد يفهم من قول العقاد عن الجيبون « ياعميد الفنون » أننا سنأتى غدا بقرد نجعله عميد « كلية الآداب » أو « الفنون الجيلة » فيفرق لهذا الحدث الخارق من المجددين ! . ثم ينتفض ذعرا من قوله « ياأبا العبقرى والبهلوان » ويسأل الله السلامة من هـذا « الاعتراف » الذى هو لحسن الحظ « حجة قاصرة » !

أو كيف يمكن أن تصبر على مناقشة رجل ، يحلف لك بالطلاق أن كلمة « الجيبون » لاتدخل فى شعر عربى ، أو يستحلف سواه ، ويفتى له بعدم طلاق امرأته ! ويكون الحكم طبعا هو « مأذون الشرع » فى قيمة الآداب !

وليته مع ذلك ابتكرها ، فإنما هى بعينها قولة الرافعى فى « على السفود » عن بعض الألفاظ فى قصائد العقاد !

ووددت لو يحلف الأستاذ على هذا ، فأفرق غداً بينه وبين زوجه — إن كان متزوجاً — لأن « ابن الرومى » وحده وهو شاعر عربي ذكر من مثل هـذه الألفاظ المشرات فى ألوان الطعام وأسماء الفواكه والخمر . كما ورد فى أدب غيره !!

وبعد هذا تجد من يكتب فيقول لك : لم لا تناقش هـذا الكلام ؟ أأناقشه ؟ أكل من لاقاك فى الطريق تقال كلاماً — أى كلام — تقف لتناقشه ؟

على أننى وددت لو خفت حدة هذه المناقشات ، ولو عاد إليها هدوؤها الذى بدأنها به فى الكلمة الأولى . وهأنذا أحاول الاهتمام ببعض مالا يصح الاهتمام به من الأقوال ، وتناسى ما فيها من تمالم وتحفز ، أو تفاهة وضآلة . ولعلنى مفلح فى تحويل هؤلاء الناس — كلهم — إلى معالجة الموضوع

* * *

وأبدأ بكلمة الأستاذ « رفيق اللبابيدى » وقد مهد لها بدالة الصداقة والزمالة ، وساقها مساق من يورد رأيه — وليكن مايكون — مما يشفع في تناولها بالتمحيص

أول ما يراه أننى لم أقرأ كتب العقاد — على مذهبى من ضرورة الثقافات المختلفة لقراءتها — ولم أقرأ كذلك كتب الرافعى كلها

فأما العقاد ، فقد قلت : إننى فهمته بمقدار استعدادى واطلاعى ، وإننى سأرتقى فى فهمه كلما زدت ثقافة واتسعت جوانب نفسى . فكان تفسيرى له فى هذه الحدود الضيقة بالنسبة له ، الواسعة جد الاتساع ، بالنسبة لمن ينصبون أنفسهم نقاداً له ، فيخرجونه من عالم الشعراء ، بل الأدباء ، وهم جالسون فى راحة غبية ، و « طمطمة » بليدة !

وأما الرافعى فقد قرأت له معظم ما كتب ، فلم أر فى شىء منه دلائل على أن هناك استعداداً ، لأن تخرج هذه الطبيعة شيئاً مما أطلبه ، يحفزنى لقراءة الباقى ، على الأمل فى وجود ذخيرة نفسية . وقد عنيت أن أقرأ له الكتب والمقالات ، التى تفيض النفس الانسانية فيها بالشعور الخالص — عادة — فاذا لم يكن فى هذا المجال صاحب ذخيرة ، فما هو بصاحب ذخيرة على الاطلاق

أما الأمثلة التى سقتها ، فليست منتقاة على اعتبار أنها « مما يوقع فيه » ولكن لأنها أدل على تصور طبيعة خاصة ، ناضبة من الذخيرة الانسانية ، ومن دفعة الحياة والمقيدة (المقيدة فى الأدب والحياة لا فى القاموس !)

ولى رأى فى الأمثلة لا بأس من إيراده هنا . فالأديب قد يخطئ وقد يهبط فى كثير من المواضع ، ولكنه يبقى بعد أديباً لا تسلبه أخطاؤه ولا يسلبه ضعفه ، صفة « الانسانية » فى أدبه (لا الانسانية التى تقابل الحيوانية فى تكوينه كما فهم بعض من يفهمون !) ولا تسلبه صفة « الطبيعة الفنية » وقد يخطئ أديب آخر مرة واحدة ، فتسلبه هذه المرة كل تلك الصفات

ومرجع ذلك هو « نوع » الغلطة ومقدار دلالتها على فهم الرجل للحياة ، وعلى نوع إحساسه بها . كالرجل الذى يحدثك عن زيارته لمدينة القاهرة ، فيترك كثيراً مما فيها من المشاهدات ويخطئ في وصف الكثير ، ولا يدل ذلك على كذبه في وقوع الزيارة ؛ ولكنه لو قال مثلاً : « إنه كان من المشاهد التى رآها أسد يخترق الشوارع والطرقات » لحكمت من فورك بأنه كاذب فى دعواه ، وهى مع هذا غلطة واحدة لا غلطات !

فحين يقول الرافعى : إن الحبيبة لا تتعلق بقلب حبيبها بعد انتهاء الحب إلا بخيطين اثنين هما غيظها له ، وغيظه لها ... يدل على أنه لم يحس الحب يوماً ما ، ولم يحسن ملاحظته فى غيره ، بل لم يكن ذا طبيعة قابلة للحب ، ولا مستعدة لتلقى دفعاته وانفساحه ولو كتب بعد ذلك عن الحب ألف كتاب

وحين يقول ما يفهم منه أنه يرى النهر الذى حافتاه من الذهب والفضة ومجراه من الدر واليواقيت ، أجمل من النهر الذى حافتاه من العشب الأخضر ، ومجراه من المدر والطين ... يدل على أنه لم يحس الإحساس بجمال « الطبيعة » ، بل على أنه لم يوهب الطبيعة التى تحس هذا الجمال

وهكذا كل مثال جئت به لمثل هذه الغاية ، فهى غلطات : « الأسد الذى يخترق شوارع القاهرة » لا غلطات النسيان والضعف الطارئ ، والخطأ العارض فى التعبير ، ولعل فى هـذا البيان كفاية

ولعل القسوة التى يتخيلها الأستاذ ، ليست فى الحكم الذى أصدرته ؛ ولكنها فى وضع الرافعى مقابلا للعقاد ، والجمع بينهما فى عنوان ؛ فمن هنا بدأت مطالبة الرافعى بأدب الطبع ، وأدب النفس ، لأن المقابل له فياض بهذا النوع ، مبرز فيه ، بل هو ميزته ورمز فنه . وقد كان من جراء مطالبة الرافعى بهذا اللون الرفيع من الفن الأدبي ، ظهور خوائه ، وإنكار أدبه (إذ كان المطلوب نوعاً خاصاً منه يعلو على مجرد الأسلوب المايل ، والجمل المنقوشة) . فهذه هى القسوة . ومتى أعفينا الرافعي من أدب النفس والطبع ، فقد نجده بعد ذلك شيئاً فى التعبير ، وفى الأخذ بطريق خاصة فى هذا التعبير ، ولكن ما قيمة ذلك فى عالم الطبائع الفنية ، وفى معرض التعبير عن النفس وتمثيل الحياة ؟

ثم يسألني رأيى فى أبيات اقتطعها من قصيدة للعقاد ، وشعر العقاد وحدة لا بد من عرضها كاملة — ومع هذا فأى شيء ؟ لعله يريد أن يقول : ها هو ذا العقاد يشبه الحسن بالجوهرة ، ويذكر اللآلئ كما ذكرها الرافعى !

وهذه ملاحظة شكلية ، فما قلت : إن كل من ذكر هذه الألفاظ يكون خواء من تقدير الجمال الروحى ، ولكن الذى يقول كما قال الرافعى ، ويبدئ ويعيد ، ويراها أجمل من الطبيعة كما قال عن « النهر » ... يكون كذلك

فأما حين تقول : إن الحسن جوهرة ، ثم لا يكمل البيت حتى تقول : « لها الثراء » « ثراء النفس أثمان » وحين تقول : إن هـذا الحسن يناله من لا يعرف قيمته ، ويحرمه الخبير بجماله وسحره وطبيعته ، كالجوهرة التى يحرمها اللآل ويقنو نفيسها من لا يسومها ... الخ

حين تقول مثل هـذا فنحن فى صميم الشعور الروحى . والجوهرة واللآل هنا أدوات للتشبيه ، وليست مقصودة لذاتها ، ولا لمغالى فى قيمتها . « وثراء النفس » هو الملتفت إليه ، والمقدر ثمنا لهذا الحسن الفريد

أما إنكار الأخ لشاعرية العقاد فليس لى فيه كلام . وودت — والله — لو أننى أملك طبيعة فنية أخرى ، أهبها للزميل . ولكنى آسف معذور . وكذلك قولى فى الحديث عن « الجيبون » !

أما أسئلة « ع ... دمشق » فوددت لو خلت من هذا « الجفاف الناشز » فى آخرها . ومع هذا فسأغض الطرف عنه ، وأعتبرها أسئلة لمستفهم لا متعالم !

فمن السؤال الأول : أذكر أن فى الأشياء حياة نابضة فى ضمائرها ، وهى أعمق وأولى بعناية الفنان من الحياة الظاهرة على سطوحها ولو اتصلت بها — فحياة الزهرة الظاهرة تبدو فى لونها ورائحتها وطراءتها ... الخ . أما الحياة النابضة فى ضميرها فهي المتصلة بتعبير الحياة المنىّ فى هـذه الزهرة ، وقصد الطبيعة من إنشائها . وهى الحياة التى تستمد من نهر الحياة الكبير الجارى منذ بدء الخليقة إلى نهايتها ، المتدافعة أمواجه فى كل حى وجد أو سيوجد . وهى الحياة التى تكون حلقة فى سلسلة الحياة الكبرى المتطورة من الخلية الواحـدة إلى الانسان . وهذا الالتفات

الأخير هو الالتفات الفنى لنظرية دارون ، الصالح لأن يتناوله الفن والأدب ، لأنه يتناول الحياة فى معرض أطوارهـا ونماذجها المعبّرة

وعن السؤال الثانى : أذكر أن السائل أخطأ فى إرجاع الضمائر إلى ما تعود عليه فى الجملة . فنشأ هذا اللبس ، فأنا لم أقصد أن الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — غير أشكال « الحياة » وصورها . إنما أردت أنها غير أشكال « الأشياء » وصورها فلا داعى للسؤال . أما أن العناية بالحياة فى الضمير والحياة فى الظاهر أولى بالتفات الفنان من صور الأشياء وأشكالها ، فهذا حق . والذى يقول :

وكأن محمر الشقيـ ـق إذا تصوب أو تصعد
أعـــلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

لا يرى غير أشكال الأشياء وصورها ، ولا يعنى بحياة الشقيق فى سطوحها ولا فى أعماقها ، فيكون قوله تافهاً وإن سومه عشاق التشبيهات النفيسة بسعر كبير !

وعن السؤال الثالث : أذكر أن الخوالج النفسية والصور الذهنية ، وأدب الذهن ، وأدب الطبع ، تدل على ألوان من الأدب تكاد الآن تكون قد أخذت وضوح دلالة « العلم » على المسمى . وقد ضربت لها أمثلة — مع هذا — فمن لم يكن قد سمع شيئاً عن هذه الألوان من الأدب ، ولم يكن قد أمكنه الانتفاع بالأمثلة التى سقتها ، فليقرأ ، ولينتظر حتى تنضج فى نفسه هذه المعانى

أما السؤال الرابع فلا معنى له بعد ما قلت عن أسلوب العقاد ما قلت ، وبعد ما وعدت بالافاضة عن هذا الأسلوب . فليقرأ السائل كلماتى كاملة . وليراجع كلمة الأستاذ عبد الوهاب الأمين فهى مفصحة عن هذه الناحية

* * *

وأما ملاحظة الفاضل « على كمال . فلسطين » فنصفها فى موضعه ؛ وقد نشأ هذا من اضطراب فى ترتيب بعض الجمل ! وكثيراً ما يقع مثل هذا فنكتفى بفطنة القارئ . ولكن مع هذا بقى التناقض بين قول شوبنهور وتلخيص الرافعى واضحاً

فالرافعى يقول : « فان محصل كلام هذا الفيلسوف أن ما تراه بسبب من إرادتك وغرضك وشهواتك ، فجماله فيك أنت لا فيه لأنه فى هذه الحالة صورة الاستجابة إلى ما فيك ، فلو لم يكن بعلك أنت هذا الغرض ، لم يكن معه هو ما خيّل لك من الجمال . فهو على الحقيقة (باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه)

وأول هذا الكلام لا صلة بينه وبين شوبنهور ، ولا علاقة فى منزع ولا اتجاه ، وإنمـا هو رأى آخر فى تعليل الجمال يعتبر رخيصاً جداً إذا قيس مستواه بمستوى تفكير شوبنهور فى رأيه وآخر هذا الكلام مناقض تماماً لرأى الفيلسوف (راجع ما بين القوسين الكبيرتين على كلام شوبنهور)

وبينما هو يقول — عن شوبنهور خطأ — : « فهو على الحقيقة باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه » — وهو عكس رأى شوبنهور — يعود فيقول : « فالنتيجة من ذلك أن الأشياء تحزننا كلما ابتعدت من عالم الفكرة واقتربت من عالم الإرادة ، وأنها تفرحنا كلما ابتعدت من عالم الإرادة واقتربت من عالم الفكرة » وهذا عكس ما نسبه الرافعى أولاً لشوبنهور ، وإن كان فى حقيقته هو رأى الفيلسوف المسكين !

الشيء باعتبار الفكرة المجردة جميل فى رأى الفيلسوف الصحيح . والشيء باعتبار الفكرة المجردة لا جمال فيه ، فى الرأى الذى ينسبه الرافعى إليه . وهذا هو سوء الفهم والتخليط

وعلى كل فأنا شاكر لحضرة الأديب ملاحظته

* * *

أما الأستاذ سعيد العريان ، فقد شغلنا عنه وعن كلامه الطويل بما هو لائق أن نتحدث فيه ، فمعذرة يا أستاذ سعيد !

(حلوان) سيد قطب

حول أدب الرافعي

بين القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ٢ —

كتب سيد قطب مقالات عدة يجرح فيها الرافعي وأدبه . وسيد قطب ليس من تلاميذ الرافعي ولا يبلغ أن يكونه، فما أظنه ولد إلا بعد أن ولدت مسألة القديم والجديد، وعمرها كما نبهنا في الكلمة السابقة لا تزيد على ثلاثين عاماً ، وإذن فعمره من يوم ولد إلى يوم كتب لا يمكن أن يبلغ عمر أدب الرافعي الذي بدأ يقول الشعر الجيد على رأس التسعمائة كما يدل عليه ما نشرت الرسالة من نماذج شعره في ذلك العهد (أنظر مثلا العددين ٢١٣ و ٢١٤ من الرسالة) ، وإذا كان عمر أدب الرافعي رحمة الله عليه أكبر من عمر صاحب تلك المقالات فقد كان المعقول أن يكتب عن الرافعي وأدبه بغير تلك اللهجة وبغير ذلك القلم لولا أننا في عصر انتقال من أسوأ سيئاته تمرد الشباب على النظم ولو كانت فاضلة ، وتطاول الصغير على الكبير في الاشارة والعبارة إذا كان بينهما خلاف

ونحن إذ نقول هذا لا نأخذ على صاحب تلك المقالات أن يكون له في الرافعي رأي يخالف رأي جمهرة الأدباء، ولكن نأخذ عليه ما أخذه غيرنا من طريقة إبداء هذا الرأي . فلو كان ندا للرافعي لما حسن فيما يبدى من رأي فيه إلا أن يكون مهذب اللفظ مؤدب القلم ، فكيف وهو ليس للرافعي بند ولا لبعض تلاميذ الرافعي ؟ إن الأديب من غير شك يستطيع أن يعرب عن رأيه في مقام كهذا من غير خروج على أدب القول ومن غير أن تزيد الطين بلة بالتماسه إلى هذا الخروج العلل والمعاذير

على أن إسراف تلك المقالات فيما ذهبت إليه من سوء الرأي في الرافعي وأدبه لا يشك فيه أحد ممن له شيء من الاتزان في التفكير . فلو غير صاحب تلك المقالات خطر له في الرافعي مثل هذا الرأي المسرف من أن ليس للرافعي إنسانية ولا طبع ولا نفس ولا قلب ولاذوق ولا ذهن ولاحياة إلى آخر ما شاءت له بغضاؤه أن ينفي عن الرافعي — لو غيره خطر له هذا في الرافعي لوقف من هذا الخاطر موقف المتهم المتشكك على أقل تقدير ، إذ غير معقول أن يبلغ الرافعي رحمه الله ما بلغ من حسن السمعة وبعد الصيت في عالم الأدب العربي ثم لا يكون له من كل تلك الصفات حظ يفسر ما نال من صيت حسن وتقدير كبير عند جمهرة الأدباء رغم بعض العيوب البادية في بعض ما كتب من مثل (على السفود) ورغم ما في بعض كتاباته من صعوبة أو غموض . فالرافعي نال ما نال من حظوة ومكانة في عالم الأدب العربي رغم هذه العيوب ، ثم نال ذلك غير مؤيد بمال ولا جاه ولا سياسة ، وهذا معناه عند الناقد المتزن أن أدب الرافعي لا بد عند التصفية أن تبقى منه بقية كبيرة صالحة تكفي لتمجيده إن لم تكف لتخليده. وإذن يكون عمل النقد الأدبي أن يميز تلك البقية ويجليها للناس تراثاً طيباً يضم إلى ما خلفت القرون من التراث العربي الأدبي الطيب . لكن مثل هذا الناقد يحتاج من قوة العقل ، وسعة الاطلاع ، ومحبة الحق والخير ، ومجانبة العصبية والهوى، إلى ما لا تنبئ عنه تلك المقالات

إن أظهر ما تنبئ عنه تلك المقالات أنها نتاج العاطفة قبل أن تكون نتاج العقل . فالعاطفة الجامحة أوحت بكتابتها ، والعاطفة الجامحة لونت الوقائع لعقل صاحبها حين سخرته لحياكة ذلك النقد طبق وحيها . ومدار هذه العاطفة هو حب العقاد وبغض الرافعي : حب العقاد حب مفتون ، وبغض الرافعي بغض مجنون . فلا مدح أكبر من أن يفيضه على العقاد ، ولا ذم أوضع من أن يكيله للرافعي، وكأنه يتنذر في الحالين من التقصير. ولا عليه في حب العقاد أو غير العقاد أسرف في الحب أو اقتصد ، بل لا عليه في بغض الرافعي أو غير الرافعي ما بقي بغضه سلبي الأثر؛ أما إذا حركه الحب أو البغض إلى العدوان على من يبغض في سبيل من يحب ، فعندئذ تبدأ تبعته ، وعندئذ تجب مراقبته ثم محاسبته على ما يكتب أو يقول خصوصاً إذا أراد أن يستتر بالنقد مبالغة في الكيد أو احتماء من القانون

لو كان للنقد الأدبي في مصر أو في العالم العربي قوامون يغارون عليه ويرعونه لتهيب اقتحامه من لا يحسنه ، ولما أقدم على تقدمثل الرافعي من لا يعرف أولا يراعي أوليات النقد. إن من أبسط

أوليات النقد الاحاطة بالموضوع . وصاحبنا الذي لايعجبه مذهب الأقدمين في النقد ، ويريد أن يشق للناس طريقا جديدا ، يقدم على نقد الرافعي فيما زعم من غير أن يحيط بأدب الرافعي أو يحاول أن يحيط به . وهو فيما يظهر لا يحس أنه اقترف بهذا جرما لأنه يعترف به في غير اعتذار ولا حياء . يقول في مقاله الثالث إنه كتب كلمته الأولى على صدى مطالعته القديمة للرافعي، وكتب كلمته الثانية وليس بين يديه إلا وحي الأربعين. ثم ذهب إلى رسائل الأحزان يتلمس الأمثلة توضيحا لرأيه فاصطدم بالرافعي كما يقول من جديد؛ وعلى وقع هذا الاصطدام كتب عن الرافعي ثم كتب حتى أبلغ كلماته إلى ثمان . فعمدته في تقدير الرافعي على الأخص شيئان : صدى مطالعاته القديمة ، ورسائل الأحزان . وصدى مطالعاته القديمة هو كما يقول « صدى غامض يدل على الجملة ولا يعد الناقد بالتفصيل » . ومطالعاته القديمة لا تعدو « حديث القمر » وما كان يكره نفسه على قراءته بعد « حديث القمر » . و « حديث القمر » كما أخبر في كلمته الأولى كان أول ما قرأ للرافعي وقد أحس بعده ببغض الرافعي ببغضاجعله لايقرأ للرافعي إلا كارها، فتزداد كراهيته بما يقرأه من غير أن يعرف لذلك تعليلا كما يقول . فصدى هذه المطالعات كان من غير شك صدى بغضاء وكراهية ، ومع ذلك فقد ظفر الرافعي من صاحبنا في مقاله الأول بنصيب يكاد يعدل نصيب العقاد حين أراد صاحبنا أن يقسم المزايا الأدبية بين الاثنين . فالعقاد أديب الطبع ، والرافعي أديب الذهن . «العقاد أديب الطبع القوي والفطرة السليمة ، والرافعي أديب الذهن الوضاء والذكاء اللماع . والعقاد متفتح النفس ريان القلب ، والرافعي مغلق من هذه الناحية متفتح العقل وحده للفتات والومضات » هكذا حكم سيد قطب بين الأديبين الكبيرين ، وحكم لنفسه ضمنا بشيء كثير حين نصب نفسه حكما بينهما . وإذا تذكر أنصار الرافعي أن هذا الحكم فيما يتعلق بصاحبهم هو صدى غامض لمطالعات قديمة محفوفة بالكراهية والبغضاء كان لهم حقا أن يغتبطوا به . ولاعليهم من «مغلق» « ومتفتح العقل وحده للفتات والومضات» فإن الحكم لا يعطي العقاد شيئا من التفتح العقلي ولو للفتات والومضات . فهو سوى بين الاثنين تسوية تكاد تكون تامة ، أو بالأحرى جعل المزايا الأدبية قسمة بينهما على سواء تقريبا: أخرج العقاد من دائرة الذهن والعقل، كما أخرج الرافعي من دائرة النفس والقلب ، وخص أحدهما بما نفى عن الآخر . فإذا شك أنصار العقاد في أن هذا مفهوم حكم صاحبهم على صاحبه ومنطوقه فليقرأوا مقدمة الحكم إذا شاءوا :

« وبعد فما كان يمكن أن يتفق العقاد والرافعي في شيء ! فلكل منهما نهج لا يلتقي مع الآخر في شيء »

فهل لا يزال أنصار العقاد بعد هذا على شك من مفهوم حكم صاحبهم؟ إنهم ليس لهم أن يشكوا بعد هذه القسمة ، إذ لو كان العقاد يشرك الرافعي في أدب الذهن لاتفق الاثنان في شيء ، والتقى الأديبان على شيء ! أما وهما لا يتفقان ولا يلتقيان في شيء في حكم هذا الحكم المجدد ، فما أثبته للرافعي من أدب الذهن الوضاء والذكاء اللماع لابد أن يكون نفاه عن العقاد إن كان يعرف ما المنطق وما التفكير . ليس عن ذلك محيص

لكن لاعليهم هم أيضاً من حكم صاحبهم فإنه لايعني مايقول ولا ينظر في أعقاب الكلام ونتائج المقدمات . هو حسن النية يلقي الكلام دفاعاً عن صاحبه كما ألقت الدبة ذلك الحجر المعروف

على أنه إن كان لحكمه هذا قيمة فقد عاد فنقضه في مقاله الثالث . نقضه بالنسبة للرافعي من غير أن يصلحه بالنسبة للعقاد . ولو خطر بباله أن حكمه ينتج غير ما يريد بالنسبة لمن يحب لأصلحه ، لكن ذلك لم يخطر بباله فاكتفى بأن نفى عن الرافعي الدائرة التي كان أثبتها له ، دائرة أدب الذهن ، وترك العقاد في الدائرة التي كان أثبتها له ، دائرة أدب القلب ، من غير أن يثبت له الدائرة الأخرى التي كان قد نفى عنه . وليس لرجوعه عن حكمه للرافعي داع إلا أنه فيما زعم ذهب يتلمس في « رسائل الأحزان » الأمثلة التي تفصل مجمل ما دل عليه الصدى الغامض لمطالعاته الرافعية السابقة ، فاصطدم بالرافعي « واختلف الصدي الغامض القديم عن الصوت الواضح الجديد » كما يقول . فهو حين ذهب إلى « رسائل الأحزان » لم يذهب ليستوثق من صحة دلالة الصدى القديم التي بنى عليها حكمه الأول ، لأنه لم يكن يخالطه في صحتها شك ، إذ « ما من شك أن الرافعي كان ذكيًا قوي الذهن » كما يؤكد في كلمته الأولى حين كان يلتمس أن ينفي أن يكون أدب الرافعي أدب طبع عن طريق تبيين أنه « كثيراً ما يختلط

أدب الذهن وأدب الطبع إذا كان مع ذكاء وقوة » . لم يذهب إلى رسائل الأحزان إذن ليستوثق من صحة تلك الدلالة أو ذلك الحكم ولكن ليؤيدها ويفصلهما بأمثلة . فلما اختلف الصوتان وتعارضت الدلالتان مال عن الدلالة القديمة الغامضة إلى الدلالة الجديدة الواضحة ؛ وهو يظن أن هذا كاف للرجوع عن حكم حكمه ورأى ارتآه ، ولا يرى فى ذلك شيئاً من سطحية الحكم والنظر التى كثيراً ما يرى بها خصومه من غير مبرر . لكن النظر السطحى وحده هو الذى يبرر الرجوع عن ذلك الحكم بمثل هذه السهولة لمثل هذا السبب . إن الغموض الذى وصف به صدى مطالعاته القديمة قد فسره هو وحدده بأنه عدم إمداد الناقد بالتفصيل . فذلك الصدى إذن صحيح فى جملته وإن لم يكن واضحاً فى تفاصيله . والتفكير الصحيح كان يقضى ويتطلب أن يتفق الصديان أو الصوتان فى الجملة إن كانا مما يبنى عليهما حكم ، فإن اختلفا لم يمكن بناء حكم على أيهما حتى يتبين وجه الحق فيهما ببينات جديدة . وكان المنتظر ممن جشم نفسه دراسة المباحث النفسية الجديدة ومباحث علم الأحياء ومباحث الضوء فى الطبيعة إلى آخر ما حدث من نفسه فى مقاله السادس أنه قد درسه كى يرق إلى محاولة استيعاب العقاد — كان المنتظر من مثل هذا أن يكون قد انتفع أيضاً بتلك الدراسات العلمية إلى حد الرقي إلى تذوق الروح العلمية وتفهم الطريقة العلمية فى النظر ، فهذا أنفع له وأجدى عليه من كل ما عرف من مفردات الوقائع والحقائق والنظريات . فلو كان رق إلى الروح أو الطريقة العلمية فى النظر والاستدلال ، ووجد فى البحث الذى كان بصدده أن رسائل الأحزان تخالف فى دلالتها حديث القمر ، وما تبعه من مطالعات للرافعى وإن قلّت ، إذن لوقف موقف العالم الذى يجد نفسه حيال فرضين كل منهما يفسر شطراً من الوقائع التى لديه من غير أن يفسر الشطر الآخر ، فينبذ الفرضين جميعاً ويسعى للوصول إلى فرض جديد يفسر الوقائع جميعاً . فإن كانت الوقائع قليلة ، كما هى فى حالة صاحبنا حين أراد أن يحكم على الرافعى من كتابين اثنين — سعى العالم إلى تكثير الحقائق قبل أن يطمئن إلى فرض يفسرها ، كما كان يجب على صاحبنا أن يقرأ كل ما كتب الرافعى قبل أن يطمئن إلى حكم يحكمه ، لا أن يقرأ كتابين على فترة طويلة من الزمن حتى إذا اختلف صداها عنده حكم لأحدهما على الثاني من غير قرينة ولا مرجح . وإذا كان الرأى الذى حكم له أقرب إلى ميله واتجاه عاطفته — كما هو الواقع — لم يبق شك فى أن صاحبنا الناقد المجدد مسير بعاطفته لا بعقله : يتبع العقل ما اتفق وعاطفته ، فاذا اختلفا ترك عقله واتبع هواه

ومن عجيب أمر كاتبنا الناقد أنه أصدر فى أمر الرافعى أحكاماً ثلاثة فى كلتيه الأولى والثالثة من غير أن يكون لأحد هذه الأحكام أساس معقول . قرأ حديث القمر وما إليه فازداد كراهية لذلك اللون من الأدب من غير أن يجد لذلك تعليلا ، غير أنه كان يزعم لاخوانه أن الرافعى خواء من « النفس » وأن ذلك سبب كراهيته له . هذا حكمه الأول أبداه على تردد وكأنه يتعذر منه فكان بذلك أقرب إلى المعقول

ثم كتب صديق الرافعى الحميم فصوله الممتعة فى تاريخ الرافعى وضمنها تاريخ حب الرافعى فى الأعداد ٢٢٦ إلى ٢٣٢ من الرسالة بدأها أول نوفبر وانتهى منها حوالى منتصف ديسمبر سنة ٩٣٧ فاغتبط ناقدنا كما يقول لأنه وجد للرافعى حبا له مظاهر وخطوات وأخذ يعلل اغتباطه ذلك بقوله : « إن خيالى المنبعث من قراءة الرافعى لم يكن يطوع لى أن ألمح إمكان وجود هذه العاطفة فى حياته ، فالحب يتطلب قلباً وكنت أزعم أن ليس للرجل قلب ، والحب يقتضى «إنسانية» وكنت أفتقدها فيه» . حسن . هاهونا قد عرف أن خياله المنبعث من قراءته الرافعى كان مخطئاً ، فهل تراه غير رأيه فى الرافعى وأثبت له ما كان ينفيه عنه من قبل من أخص خصائص الانسان بله الأديب ؟ . لا . واسمع له يتم لك بقية حديثه فانه حديث عجيب :

« لقد ظللت هكذا » — أى قاسياً على الرافعى بنفى الانسانية والقلب عنه — « حتى استطعت أن أكون ناقداً لا يكتفى بالتذوق والاستحسان والاستهجان ولكن يعلل ما يحس ويحلله فماذا كانت النتيجة ؟ لقد عدلت حكمى قليلا ، وخفت حدته ولم أعد أستشعر البغض والكراهية للرجل وأدبه ولكن بقى الأساس سليما

كنت أنكر عليه « الانسانية » فأصبحت أنكر عليه « الطبع » ؛ وكنت لا أجد عنده « الأدب الفنى » فأصبحت لا أجد عنده « الأدب النفسى »

كلام مرصوص قد ينخدع به مثل كاتبه ، إن جاز على أصحاب « الأدب النفسى » فلايجوز على أصحاب « الأدب الفنى »

تأمل هذا الكلام قليلا ، تأمل أوله ثم تأمل آخره . لقد ظل ينكر على الرافعي الانسانية والقلب حتى أصبح ناقداً يعلل ويحلل . وقد رأيت من كلامه قبل ذلك أنه كان على هذا الانكار حتى حدثه العريان بحديث حب الرافعي في أواخر سنة ٣٧ . إذن فاستطاعته أن يكون ناقداً لا يمكن أن تكون سبقت هذا التاريخ ، وإن حدثنا في مقاله الخامس عن محاضرة له في وحي الأربعين ألقاها سنة ٣٤ . فتلك المحاضرة إذن كتبها قبل أن يستطيع نقداً أو تعليلا أو تحليلا إن كان يعني كلامه السابق ، ويكون كلامه السابق هدما لما في تلك المحاضرة من نقد وتحليل يحيل عليه في مقاله الخامس . أما إذا كان لا يعني كلامه السابق وكانت محاضرته تلك تحتوي على نقد نفيس فان هناك تفسيراً واحداً لهذا التناقض هو أن صاحبنا الكاتب الأديب لا يحسن التعبير عما يريد باللغة التي هو إخصائي فيها

عد عن هذا وسلم له استطاعته النقد حين قرأ حديث حب الرافعي ، بصرف النظر عن مبدأ هذه الاستطاعة ؛ وانظر في النتيجة التي رتبها عليها . لقد عدل حكمه قليلا . لماذا هذا التعديل القليل أو الكثير ؟ وما علاقته باستطاعة صاحبه النقد والتعليل والتحليل ؟ إنه لم يقرأ للرافعي شيئا جديدا ينقده ، ولم يرجع إلى ما قرأ قديما فيعيد قراءته ليحلله ويعلل أثره في نفسه . إن المقروء القديم هو: حديث القمر وأكره نفسه عليه . ولو كان قرأه ثانيا من جديد ما كان صداه ذلك الصدى الغامض الذي يدل على الجملة ولا يعدو التفصيل. إذن فماذا نقد وماذا حلل ولماذا عدّل ؟ هل نستطيع لهذا جوابا؟ هل يستطيع هو لهذا جوابا لا مراوغة فيه ولا « لعب على حبل » ؟ إن أحاديث العريان عن حب الرافعي يجب أن تؤخذ كلها أو تترك كلها لأنها من قبيل الأخبار . فان أخذت كلها لزم الكاتب الناقد اثبات « الانسانية » و« القلب » للرافعي من غير قيد ولا شرط . وإن تركت كلها لزمه الوقوف عند رأيه الأول من غير تعديل كثير أو قليل . فلماذا إذن ذلك التعديل القليل وما علاقته باستطاعة صاحب المقالات النقد والتعليل والتحليل ؟ أم هي كلمات ترص ليس تحتها معنى مقصود محدود ؟ أم هي العاطفة تسير صاحبها في حكمه وإن قام على خطئها الدليل ؟

على أننا سنغض الطرف عن هذا كله ونفرض أن استطاعته النقد مكنته بطريقة ما من تعديل الحكم تعديلا قليلا . فهل تراه عدله تعديلا ما ؟ لقد كان يزعم قبل أن يعرف للرافعي حبا أن الرافعي خواء من « النفس » والآن وقد عرف للرافعي حبا كثيرا أصبح لا يجد عند الرافعي « الأدب النفسي » بعد أن كان لا يجد عنده « الأدب الفني » ! أتجد فرقا بين خلو الرافعي من « النفس » وخلو أدبه من « الأدب النفسي » الذي لا يصدر إلا عن « نفس » على حد تعبيره ؟ ما نرى صاحبنا إلا وقد سلب الرافعي باليمين ذلك القليل الذي أعطاه بالشمال ، وقد صرح بهذا السلب في صدر مقاله الثالث وإن زعم في مقاله الأول أنه اغتبط لما حدثه به العريان من حديث حب عدّل حكمه من أجله بعض التعديل .

بقيت واقعة صغرى ليست بذات بال في نفسها وإن كان لها دلالتها النفسية على تعبير صاحب تلك المقالات . إنه حين أحس بالغضاضة في التراجع عن حكمه الأول بين الرافعي والعقاد إلى حكمه الأخير الذي بناه على رسائل الأحزان ، أراد أن يمهد لذلك التراجع لدى القارئ في مواربة وجمجمة ، فهل تدرى ماذا صنع ؟ إنه زعم أنه أخطأ في عدم تحديد « الذهن » الذي قال إن الرافعي يصدر عنه في أدبه في مقاله الأول ، فإن من الأذهان ما هو مشرق أو خاب وما هو متفتح أو مغلق إلى آخر ما قال . لكن رجعة إلى صيغة حكمه الذي نقلناه لك في هذا المقال تبين لك حظ هذا الزعم من الصراحة والصدق . إنه لم يخطئ في عدم « تحديد » الذهن لأنه حدده بأوضح الألفاظ في ذلك الحكم . وقد كان يستطيع أن ينكر ويتراجع في صدق وصراحة من غير لف أو اختداع للقارئ . ولا عليه من شيء قاله أو يقوله من مدح أو ذم ، من إطراء أو هجاء ، فان المدح والذم يستويان عند « ذوى المواهب الذهنية » إذا صدرا عن « ناقد » تسخّر عقله العاطفة ، كما بينا في هذا المقال ، وكما نرجو أن نزيده إن شاء الله بيانا فيما يأتي من الكلام

محمد أحمد الغمراوي

محمد اقبال

للدكتور عبد الوهاب عزام

منذ شهرين خفت صوت كان يقصف فى أجواء الشرق ليوقظه ، وخبا برق كان يتلألأ فى الظلم المتراكمة يضيئها ، وطفئ مصباح كان نوراً للسالكين فى هذه الفياهب ، وهدى للحائرين فى هذه الفتن ، وسكن قلب كان يحاول أن يزلزل الأرض بخفقاته ، وينشىء الناس نشأة أخرى بإيمانه ، وهمدت نفس حرة كانت تكبر على حدود الأوطان والحدثان ، والزمان والمكان

منذ شهرين فقد الناس عامة ، والمسلمون خاصة شاعراً مفلقاً ، ومفكراً مُبدعاً ، وفيلسوفاً حراً ؛ وافتقد شباب المسلمين فى الهند وغيرها حامل اللواء الذى كان يدعو إلى السموّ فوق كل عقبة ، والسير وراء كل غاية ، ويناديهم صباح مساء

آه للعشق الذى قد ذهبا ملأ الأرض ضياء وخبا
رُزق الميلاد فى أرض الحرم وأتاه الموت فى بيت الصنم

كلا. ما خفت الصوت ، ولا خبا البرق ، ولا طفئ المصباح، ولا سكن القلب الكبير، ولا همدت النفس الحرة ، فكل أولئك خالد فى آثار إقبال

— ٢ —

كان محمد إقبال عقلا كبيراً ، وقلباً عظيما ؛ درس ووعى مدنية الاسلام ومدنية أوربا ثم قام ناقداً لا مقلداً ، وحراً لا عبداً؛ فكان من عظم عقله، ووقدة ذكائه ، وكبر نفسه ، وسموّ قلبه ، ومن العلم الواسع والالهام الالهى هذه الآثار الخالدات

وهب إقبال فكره وقلبه للمسلمين يوقظهم ويعلمهم ، ويصف داءهم ودواءهم ، ويُشيد بماضيهم ، ويبشر بمستقبلهم ، ويصوغ وحى عقله وعاطفة فؤاده شعراً يوقظ النفوس الهاجدة ، ويشعل الهمم الخامدة ، بل يكاد يبعث الأموات ، ويحيى الموات ، تنسم فيه نفحات صوفية ، وتنير فى جوانبه لمات إلاهية . وقد صدق شاعر الاسلام محمد عاكف بك رحمه الله إذ قال : لو أن جلال الدين الرومى صاحب المثنوى بعث فى هذا العصر لكان محمداً إقبالا .

— ٣ —

نظم إقبال عشر منظومات نشرت على هذا النسق :

١ — أسرار خودى (أسرار الذاتية)
٢ — رموز بى خودى (رموز اللاذاتية)
٣ — بانك درا (صوت الجرس)
٤ — بيام مشرق (رسالة الشرق)
٥ — زبور عجم (زبور العجم)
٦ — جاويد نامه (كتاب جاويد سماه باسم أحد أبنائه)
٧ — مسافر
٨ — منظومة نظمها أثناء الحرب الحبشية وجعل عنوانها (وبعد فما العمل يا أمم الشرق)
٩ — ضرب كليم
١٠ — بال جبريل (جناح جبريل)

ومات وهو ينظم أهنك حجاز (لحن الحجاز)

ومن هذه المنظومات التسع ثلاث بالأوردية والأخريات بالفارسية

وله مؤلفان باللغة الانكليزية : الأول « تطور ما وراء الطبيعة فى إيران » والثانى محاضرات أراد فيها أن يبنى العقائد الاسلامية على أسس جديدة وسماها « إصلاح الأفكار الدينية فى الاسلام »

ولا يتسع الوقت للكلام عن هذه المنظومات وما ضمنت من شعر رائع وفلسفة عالية ، فحسبى أن أشير إلى كتابيه أسرار خودى ورموز بى خودى ، فقد شرح فيهما فلسفة فى الذاتية واللاذاتية ، وبين أن العالم قائم على الذاتية وأن على الانسان أن يقويها ما استطاع ، ثم بيّن كيف تلتئم الذاتيات القوية فى الجماعة واتخذ من تاريخ المسلمين رجالهم وجماعاتهم مُثلا لتطبيق هذه الآراء

وكذلك أشيرُ إلى كتابه « بيام مشرق » الذى جعله جواباً للشاعر الألمانى جوته صاحب « ديوان الغرب » وفيه صوَر من الشعر والفلسفة يفخر بها الشرق على الغرب ، وفيه نقد لكثير من مذاهب أوربا وفلاسفتها

ثم أشير إلى كتابه جاويد نامه الذى قصّ فيه رحلته فى الأفلاك ولقاءه عظماء المسلمين فى العصور القريبة والبعيدة . وكان دليله فى هذه الرحلة جلال الدين الرومى ، ولهذا الرجل العظيم على إقبال تأثير عظيم

— ٤ —

منظومات إقبال فياضة النفس العظيمة التى لا تحد ؛ ولكن يستطيع قارئها أن يتبين أصولا خمسة يدور حولها كثير من شعره :

١ — الحياة هي الجهاد الدائم وتسخير قوى العالم

« ما الحياة ؟ هي أن تأسر نفسُك هذا العالم . فكيف تجعل نفسك لهذا العالم أسيرة ؟ »

٢ — وإنما يصلح الانسان للجهاد بتقوية نفسه ، واستخراج كل ما فيها من قوى . وقد بنى على هذا مذهبه في الذاتية وشرحه في كتاب « أسرار خودى » ...

ومن كلامه في پيام مشرق : « أخرج النغمة التي هي أساس فطرتك . أيها الضالّ عن نفسه ! خلِّ نفسك من نغمات غيرك . » ويقول على لسان اليراعة والحباحب : « لست كالفراشة اصطلي بنار غيري . ولكني أشتعل بنفسي ولا أحمل لأحد منّة ؛ إذا صار الليل أحلك من عين الظبي أنرت بنفسي لنفسي الطريق »

وتقتضي هذه الذاتية الحرية ، وحرّية اقبال ألا يحدّ النفس شيء حتى الزمان والمكان

هو بالأمس خبير بغدٍ وهو اليوم نجيُّ الأبد

وقد بين في أسرار خودى الفرق بين العبد والحر في قوله :

« العبد ضال في ليله ونهاره ، والحر يضل في قلبه زمانه . العبد يخيط الليل والنهار على نفسه ، وينسج من الأيام كفنه ، والحر ينسج على الزمان عزائمه — العبد طائر في شبكة الصباح والمساء ، حرمت روحه السبح في الهواء ، وصدر الحر الهام ، قفص لطائر الأيام . فطرة العبد تحصيل الحاصل ، وخواطره تكرار قاتل . ومقامه من الجود واحد ؛ وصوته بالليل والنهار راكد . والحرّ كلّ حين خلاق يسكب نغمات جديدة في الآفاق ، فطرته لا تحتمل التكرار ، وليست طريقه حلقة البركار ، العبد في سلاسل من زمانه ، والقضاء والقدر ورد لسانه . وهمة الحرّ مشيرة على القضاء ، تصوّر يده الحادثات كما تشاء »

٤ — العلم وحده حجاب دون الحقائق وعقبة في سبيل الحياة — كما يقول ناحت صنم وبائع صنم وعابد صنم لابد مع العلم من العشق . وهو يذهب في هذا مذهب الصوفية كفريد الدين العطار في الكلام على العلم والعشق ، وهم يعنون بالعشق الوجدان اليقظ وهذه الحرقة التي تسمو بالانسان عن السفاسف إلى العظائم وتدفعه إلى الحق والخير ، وتوجهه إلى الله . وقد ضرب في ذلك مثلاً ابن سينا وجلال الدين الرومي ؛ قال : ضل أبو عليّ في غبار الناقة ونالت يد جلال الدين ستر الهودج ، هذا دار مع الفتاة على وجه الماء وذاك غاص في اللجة فظفر باللآلئ

٥ — هذه الأصول في فلسفة إقبال لها مُثل لا تحصى في مقاصد الاسلام وسننه وتاريخه . وهو يكره النزعات الوطنية الضيقة ويشيد بالأخوة الاسلامية العامة . وقد بدأ نشيده الذائع في الهند والذي يسمى النشيد الملي بقوله : وحين وعرب هارا هندوستان هارا مسلم هين هم ، وطن هم ساراجهان هارا « الصين والعرب لنا والهند لنا ، نحن المسلمون وطننا كل هذا العالم »

وقال في پيام مشرق : إن الناس لاموا طارق بن زياد حينما أحرق السفن وقالوا هذا بعيد من الشرع والحزم . فسل سيفه وقال الأرض كلها ملكنا لأنها ملك ربنا »

— ٥ —

كان إقبال واثقاً بنفسه ، معتداً بآرائه يتدفق في شعره تدفق البحر لا يعرف خوفاً ولا تردداً . وكان يرى أحياناً أنه بشير المستقبل ، وأنه صوت شاعر الغد ، وأن العصر الحاضر لا يدرك معانيه ، والجيل القائم ليس كفء كلامه

يقول :

« أنا شمس حديثة الميلاد ، لا تعرف رسوم هذا الفلك ، كما يثمر النجوم ضياؤها ويرقص على صفحات البحار شعاعها ... أنا نغمة لا تبالى بالمضراب ، أنا صوت شاعر الغد ... إن عصرى لا يفهم الأسرار .. أنا يائس من الأصحاب القدماء ، وإن طورى يشتعل ليظفر بكليم ، بحر أصحابي كالقطرة لا تزخر ، وقطرى كالبحر فيها طوفان مضمر . نغمتى من عالم آخر وجرسى لغير هذه القافلة ... كم مرت بهذه الصحراء قوافل تمشى الهوينى كما تسير الناقة ولكني عاشق الصياح إغاني وضوضاء الحشر طليعتي أنا نغمة ولكنها أكبر من الوتر ، ولست أشفق على هذا العود أن ينكسر

كم شاعر ولد بعد الموت أغمض عينيه ليفتح عيوننا وبدا من وراء الموت كما تنبت الأزهار في تربته .

ذلكم الرجل الذي فقدناه أمس ، والذي يدرك عارفوه ماذا فقد المسلمون منه .

كان اقبال يتمنى أن يموت في الحجاز فان تكن فاتته هذه المُنية فله بعض العزاء في أن يستمع العالم الحديث عنه من البيت المقدس ، من المسجد الأقصى من قبلة المسلمين الأولى

عبد الوهاب عزام

تيسير قواعد الإعراب

لأستاذ فاضل

— ١ —

ألفت وزارة المعارف جماعة لتيسير قواعد تدريس اللغة العربية من حضرات الأساتذة طه حسين عميد كلية الآداب، واحمد أمين وابراهيم مصطفى الأستاذين بهذه الكلية، وعلى الجارم بك مفتش اللغة العربية الأول، ومحمد أبي بكر إبراهيم المفتش بوزارة المعارف، وعبد المجيد الشافعي الأستاذ بدار العلوم

وكان على وزارة المعارف أن تراعى مكان الأزهر فى هـذا العمل الذى أرادته، فتضيف إلى رجالها الذين اختارتهم من كلية الآداب ودار العلوم أستاذين أو أكثر من رجال الأزهر، حتى يأتي هذا العمل الذى أرادته باتفاق معاهد العلم فى مصر، فيكون له مكانته واحترامه، لأن التغيير الذى عملته تلك الجماعة لا يقتصر على تيسير قواعد تدريس اللغة العربية، بل يتعدى هذا إلى إحداث تغييرات خطيرة فى نفس تلك القواعد، فكان من الواجب أن يختار لذلك جماعة من هذه المعاهد المختلفة في بيئتها وثقافتها، ليتم الأمر فيه بعد تجاذب العقول المختلفة، والمشارب المتباينة، وبعد دراسته دراسة متزنة تقوى على النقد، وتقبلها هذه البيئات المختلفة

ولقد ظهر عمل هذه اللجنة فظهرت حركة يراد منها القضاء على كل ما عملته بجملته وتفصيله، ولا يهمها بعد هذا أمر تيسير تلك القواعد التى ألفت هذه الجماعة من أجله، وهو أمر لا بد لنـا منه فى هذا العصر الذى تزاحم فيه العربية مزاحمة شديدة يخشى منها عليها، وتأخذ نفوس كثير من أبنائها إلى الانصراف عنها لمـا تجده من تعقيد فى بعض قواعدها، فلا بد لنا من تذليل هذه القواعد المعقدة وتيسيرها، ولابد لنا من حذف ما فيها من حشو يمكننا الاستغناء عنه، ويجب إذا ظهر أمامنا عمل فى هذا السبيل أن نعمل على الاستفادة منه، وأن يكون رائدنا البحث فى تهذيبه وتكميله، ولا يصح أن يكون رائدنا هدمه وتقويضه لا غير، فكم جنى هذا على محاولات الإصلاح فينا، وكم نشر فينا من عوامل اليأس فى إصلاح حالنا. وسيكون نظرنا في عمل هذه اللجنة قائماً على أساس التهذيب والتكميل، ونرجو أن يكون هذا رائد كل محب للغته، حتى يتم لنا النهوض بها، ولا يكون حظنا فى هذه المحاولة الإصلاحية كحظنا فى غيرها من محاولات الاصلاح، معركة من التنابذ والتخاصم تفسد ولا تصلح، وتهدم ولا تبنى، ويعمل فيها سوء الظن بكل جديد عمله فى توسيع مسافة الخلف، وعدم الوصول إلى شيء يصح الاتفاق عليه. ولولا هذا الظن السيء بكل جديد لأمكننا أن نصل إلى هذه الغاية التى تقضى على أسباب الخلاف بيننا، وتعمل على توحيد كلمتنا، وتجعل التعاون على الاصلاح رائدنا فى كل أعمالنا

باب الإعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الاعراب التقديرى والاعراب المحلى، لأن مثل — الفتى — يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر، ومثل — القاضى — تقدر فيه حركتا الرفع والجر لأجل الثقل، ومثل — غلامى — تقدر فيه الحركات الثلاث لأجل المناسبة، وفى تقدير الحركات وفى الاشارة إلى سبب التقدير مشقة يكلفها التلميذ من غير فائدة يجنيها فى ضبط كلمة، أو فى تصحيح إعراب. كذلك الاعراب المحلى، فمثل (هذا هدًى) هذا يبنى على السكون فى محل رفع، ومثل (ياهذا) مبنى على ضم مقدر منع منه سكون البناء الأصلى فى محل نصب، وكذلك (ياسيبويه) مبنى على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلى فى محل نصب. وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء، فيجب الاستغناء عن الاعراب التقديرى وعن الاعراب المحلى فى المفردات وفي الجمل، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء

وعندنا أن الذى يمكن في هذا إدماج الاعراب المحلى فى الاعراب التقديرى، فيستغنى بهذا عن باب البناء كله، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم ما يبذل من الجهود فى هذا الباب، وما يجب أن يراعى فى التطبيقات من الفروق بين الاعراب والبناء، بأن يقال إن هذا مبنى وذاك معرب، وبأن يقال فى المبنى إن محله كذا من الرفع أو النصب أو الجر، ولا يخفى ما يذكر فى علة البناء من تكلفات لا داعى إلى ذكرها هنا

فلغة العرب تمتاز على غيرها من اللغات بأنها معربة ، أي بأن أواخر كلماتها لا تلازم حالة واحدة ، وهذا الحكم عام في أسمائها وأفعالها وحروفها ، لأن حروف العربية منها ما هو مفتوح الآخر مثل رُبَّ ، ومنها ما هو مضموم الآخر مثل مُنْذُ ، ومنها ما هو مكسور الآخر مثل جَيْرِ ، ومنها ما هو ساكن الآخر مثل عن ، فمثل — رب — يقال في إعرابها إنها منصوبة بالفتح الظاهر ، ومثل — منذ — يقال في إعرابها إنها مرفوعة بالضم الظاهر ، ومثل — جير — يقال في إعرابها إنها مجرورة بالكسر الظاهر ، ومثل — عن — يقال في إعرابها إنها مجزومة بالكسر الظاهر

وكذلك أفعال العربية وأسماؤها ، فأفعالها منها ما هو مفتوح أو مضموم أو ساكن ، مثل الماضي في ـ نام ـ ناموا ـ نمت ـ ومنها ما هو مضموم أو مفتوح أو ساكن ، مثل المضارع في — يفهم — لن يفهم — ليفهمنّ — لم يفهم — يفهمن — ومنها ما هو ساكن أو مفتوح مثل الأمر في ـ إفهم ـ إفهمنّ

وهذا كله فيما يتعلق بحركات الاعراب الأصلية ، أما العلامات التي تنوب عنها فسيأتي الكلام عليها في العلامات الأصلية والفرعية وأما أسماؤها فمنها ما هو مضموم مثل المبتدأ والخبر في قولك (الباب مفتوح) ومنها ما هو مفتوح مثل اسم إن في قولك (إن العدل محمود) ومنها ما هو مكسور مثل المضاف إليه في قولك (غلام زيد) . ويمتاز الاعراب في الأسماء بأنه يجرى على حسب أنواعها لا على حسب مفرداتها ، فكل مبتدأ فيها مضموم وهكذا ، وكل مفعول فيها مفتوح وهكذا ، وكل مضاف إليه فيها مجرور وهكذا ، ومثلها الأفعال في ذلك إلى حد ما

والاعراب التقديري يأتي في الكلمة العربية بأن يكون لها حكم في الاعراب باعتبار نوعها ، ولكنها تكون في ذاتها متحركة بحركة تخالف حكم نوعها في إعرابه ، فمثل (جاء الفتى) الفتى فيه فاعل حكمه الضم ، فيكون ضمه تقديرياً ، ومثل (جاء سيبويه) سيبويه فيه فاعل مضموم ، فيكون ضمه تقديرياً أيضاً

ولا بد من تقدير هذا الاعراب لأنه إذا كان لا يظهر في صاحبه فانه يظهر في تابعه ، فتقول (جاء هذا الفاضل) ، (ورأيت هذا الفاضل) ، (وسررت بهذا الفاضل) ولا شك أن وجود هذا الاعراب في التابع يدل على وجوده في متبوعه

وعلى هذا يكون إعراب — جاء سيبويه — مثل إعراب — جاء الفتى — كل منهما فاعل مرفوع بضم مقدر ، ولا داعي إلى ذكر سبب التقدير في كل منهما ، لأن هذه فلسفة لا طائل تحتها ، والاشتغال بها حشو في النحو لا فائدة فيه

ويكون الاعراب التقديري في ثلاثة أقسام من أنواع الكلام : أولها الكلمة المقصورة مثل — عصى — يخشى — الفتى — وثانيها الكلمة المنقوصة مثل — رمى — القاضي — وثالثها الاسم اللازم ، وهو اصطلاح جديد نطلقه على الاسم المبني بعد أن ألغينا ذكر هذا الاصطلاح في النحو ، ويدخل في هذا القسم كل اسم لا يتغير آخره في حالات إعرابه من الضمائر والموصولات وأسماء الاشارة ونحوها ، فاذا اتفقت الحركة التي يلازمها مع حركة إعرابه كان إعرابه ظاهراً لا مقدراً ، مثل — نحن نفهم — فنحن مبتدأ مرفوع بضم ظاهر في آخره ، ويكون حاله في هذا قريبا من حال القسم الثاني وهو المنقوص ، إذ يقدر إعرابه في حالتي الرفع والجر ، ويظهر في حالة النصب ، ولا يقدر إعرابه في جميع حالاته كما يقدر إعراب المقصور

(للكلام بقية) أزهري

الفروسية العربيـــة

للميجر كلوب

ترجمة الأستاذ جميل قبعين

— ٢ —

الحرب

لا تتجه نظرة البدوى فى الحرب إلى ربح المعركة كما قلت سابقاً . وإنك لا تجد فرقاً بين فرسان القرون الوسطى فى أسبانيا أو مناصرات ريكاردوس قلب الأسد فى حروبه عندما يصطف الفرسان ويتبارز الفارس والفارس وبين حروب البدو ، وقد انقرضت هذه العادة منذ عشرين سنة فقط . إن حب المفاخرة وتطلب الشهرة واحترام تقاليد أساليب الحرب مع عدم وجود الكراهية الشخصية بين الفريقين المتحاربين هى الروح التى تسيطر على المعارك . وإن البدوى يجد فى الهجوم ليلاً على مخيم العدو نذالة بل جبنا ؛ وإن معاونة الجرحى وعدم التعرض للنساء فى الحرب أمر عادى لديه . ومن تقاليـد البدو وعاداتهم إذا ما التقطوا جريحاً أو أخذوا أسيراً أن يعاملوه باحترام ويقدموا إليه طعاماً وشراباً ومأوى إلى أن يشفى، ومن ثم يزودونه بالمؤونة ويسير ليذهب إلى قبيلته بسلام . إن العقيدة أو الفكرة التى نخرج بها من كل هذه التقاليد والاعتبارات هى أن البدوى يهتم أن يحارب بشرف قبل أن يهتم بربح المعركة

والمرأة هى التى تثير حماسة الرجال فى الحرب ، وكما قلت تحكم على بطولتهم ، وقد جرت العادة أن تحضر النساء الموقعة راكبة فوق الجمال فى كتبان[1] مزينة ، وكثيراً ما تبرز المرأة من الهودج عاولة الشعر كاشفة الصـدر وهى تتغنى بأعمال البطولة راوية أعمال الأبطال السابقين، وكثيراً ما تنادى الفرسان بأسمائهم؛ ولا أرى ضرورة لأن أذكر أن الطرفين كانوا يعفون عن النساء أو لا يقربونهن .

ومن جهة أخرى فان الابل كانت تلعب دوراً هاماً فى الحرب. إن الابل من أهم الضروريات للبدوى ، ومن المعتاد أن اغتنام قطيع الابل دليل على انتصار الفريق الغانم على الآخر ، ولما كانت الابل هى ثمرة الحرب فقد كان شيوخ البدو يحرصون عليهـا ويتوارثونها جيلاً بعد جيل، وقد جرت العادة أن يسمى الشيخ قطيعه باسم خاص . إن هتاف فرسان البدو فى الحرب ينحصر فى اسم حبيبة الفارس أو باسم أخته أو باسم قطيع جماله . فيهتف مثلا (أنا أخو جوزا — فيصل) أو (لعيون حميده) أو (خيال العليا — النورى) والعليا قطيع من الابل

ومن الحكايات التى تروى عن سلطان بن سويط ، وقد كان شيخاً لعشيرة الظفير منذ ثلاثة أو أربعة أجيال ، أن جماعة نهبت أموال فتاة على حدود الحجاز؛ ولما كان سلطان مشهوراً بشجاعته وفروسيته فقد هتفت الفتاة: (أين أنت يا سلطان لتدافع عن فتاة) . وقد تناقل العرب هـذه الحكاية حتى وصلت إلى سلطان فأقسم لينتقمن لها ، وكيف لا وقد استنائت به ولو على بعد مئات الأميال

وسأروى لكم حكاية حقيقية وقعت منذ جيلين فقط :
— اشتهرت فى الجنوب قبيلتا عتيبة وقحطان بعدائهما الشديد وكثرة غارات بعضهما على بعض ، وقد كان لابن هادى شيخ قحطان ابنة صارت مضرب المثل عند العرب فى الجمال — وقد رفضت كل الذين تقدموا لخطبتها . وكان ابن حميد[1] اشتهر بشجاعته وفروسيته وكثرة غزواته الموفقة التى شنها على قحطان حتى أقسم شيوخ قحطان يوماً أنهم سينحرون إبلهم فى اليوم الذى يأسرون به ابن حميد . وقد حدث أن تقدم رجل لخطبة ابنة هادى ، فلما راجعها والدها بهـذا الشأن أجابته قائلة : إننى لن أتزوج إلا أشجع فرسان العرب وأكرمهم وأجملهم . وقد كان رجل صليبي يسترق السمع فسمع ما دار من الحديث بين الوالد وابنته، وعند ما خرج والدها دخل عليها خدرها وقال إن هذه الصفات لم تجتمع يا مولاتى إلا لابن حميد . فأجابته : ليتنى أراه ولو مرة

(١) الـكتب أو الغبيط نوع من الهوادج ، قال امرؤ القيس :
تقول وقـد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل
(المعرب)

(١) محمد بن هندى بن حميـد شيخ فريق برقة من عتيبة وهو شيخ قبيلة عتيبة كلها وتنقسم هذه القبيلة إلى فخذين كبيرين برقة والروقة وقد توفى معمراً . وولده نايف موجود الآن فى العراق إذ نفى إليها من حبسه فى الرياض . (المعرب)

واحدة . فنقل الصليبي هذا الحديث لابن حميد . وقد كانت شهرة بنت هادي وصيت جمالها قد سبقا وصول خبرها إلى ابن حميد فكتم هذا الحديث في نفسه حتى إذا جن الليل غادر منازل عشيرته ذاهبا إلى منازل قحطان وتسلل بين البيوت حتى دخل خيمة الفتاة وأيقظها بلطف وعرفها بنفسه ففرحت به، ولكن لم تكد تهدأ أعصابها بعد فرحها بلقائه حتى جزعت عليه لهذه المغامرة فطمأنها. وظلا يتسامران حتى طلع الفجر . وكانت العادة أن يجتمع البدو عند شيخ القبيلة صباحا لشرب القهوة وللتداول في شئون العشيرة . فلما اجتمع الشيوخ خرجت الفتاة إلى والدها قائلة : يا أبت أطلب إليك أمنية فهل تعدني بإجابتي إليها ؟ فأجابها : إن أمنيتك مستجابة قبل أن تطلبيها . عندئذ قالت اشهدوا يا شيوخ قحطان على قول والدي . فأجابوها : نحن شهود على قوله . فقالت : حينئذ أريد أن تُبقي على بن حميد. فأجابها والدها لا تكوني سخيفة ! هذا عدو قبيلتنا ؛ وعلى كل حال بيننا وبينه مائتا ميل على الأقل. فأجابته : كلا إنه في هذه الخيمة. فقام والدها يريد الرجل لينتقم منه فاستوقفته منادية شيوخ قحطان الذين تدخلوا في الأمر وذكروه بوعده، فخضع للأمر الواقع، وهنا خرج ابن حميد ليتزوج حبيبته بينما نحر شيوخ قحطان ابلهم لا لأسر ابن حميد بل احتفاء بزواجه من فتاتهم .

هذه الحكاية ترينا بجلاء أن غاية البدوي الفخر والمجد لا النصر، والحرب وسيلة المجد وليست وسيلة الكسب. وأمثال هذه الحكاية كثيرة لا تحصى .

لا يكون حديثنا عن الفروسية تاما دون التحدث عن صلاح الدين . في الحقيقة أن صلاح الدين كردي، وقد قاتل لأجل الدين لا لأجل المجد والشرف ، ولكن روح الفروسية ظهرت بجلاء في كثير من أعماله . حينما حاصر صلاح الدين قلعة الكرك لأول مرة كان أميرها همفري أوف تورن يعقد قرانه على الزابث أخت ملك القدس. ولما علم صلاح الدين بالأمر منع جنوده عن رمي السهام على القلعة، كما أن صاحبها أرسل إلى القائد المسلم الخبز والخمر واللحم من وليمة العرس . ولما خرج ريكاردوس قلب الأسد للدفاع عن يافا بالبركان راكبا دابة استعارها من أحد السكان، ولكن صلاح الدين الشهم أرسل إليه فورا جوادين مع خادم ليركبها البطل العربي في المعركة .

ومثل آخر من أمثلة الفروسية ما فعله القائد الفرنسي الباسل في فونتانتوني إذ دعا الحامية الانكليزية إلى إطلاق النار أولا .

إننا في وقتنا الحاضر قد نزدري مثل هـذه الأعمال ولكن يجب علينا ألا ننسى أن عقيدة البدوي في الفروسية هي القيام بالأعمال التي تنيل المجد والفخر لا كسب المعركة .

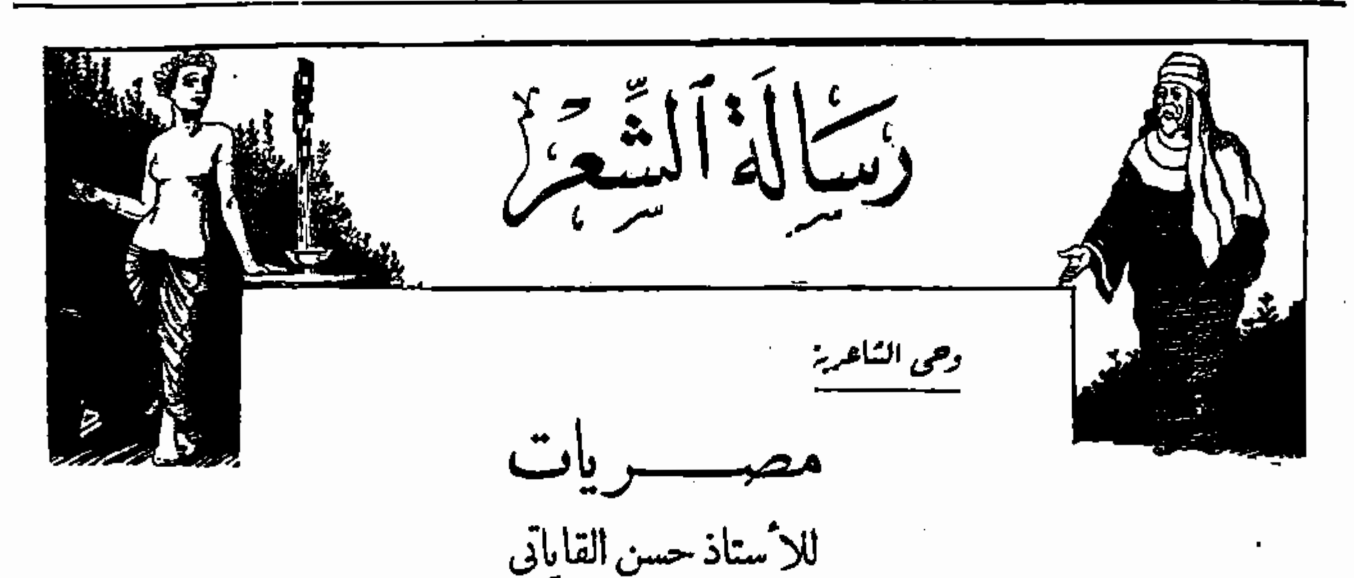
الكرم

يحمل الكثيرون من الأوروبيين ـ كنتيجة لزيارتهم للشرق ـ فكرة سيئة عن العرب لكثرة المتسولين ، ولكني أصرح بأن الذين يتسولون هم الطبقة الدنيا من العرب؛ أما الطبقات الأخرى حتى التي يكثر فيها الفقراء فهم لا يتدانون لمثل هذا العمل، وإذا ما أخذ البدوي دراهم (بخشيشا) فانه يأخذها ليكرم بها . لأن البدوي كما قلت لا يهتم لمتاع هذا العالم — وهو لا يتردد أبدا في نحر آخر ما يملكه من الابل لإطعام ضيف يمر به ولو كان هذا الضيف غريبا .

توجد قبيلة من البـدو قاطنة في شمال الحجاز فقيرة معوزة حتى أن أفرادها لا يملكون خياماً يأوون إليها وهم يقطنون الكهوف ، ولكنهم إذا ما رأوا ماراً بالطريق ركضوا نحوه وأحضروه ونحروا له ما يملكون من المواشي

« يتبع »

جميل قبعين



مصريات

للأستاذ حسن القاياتى

الجود العلمى — مشيخة الاسلام — أمنية الاصلاح — مناجاة الشرق خلال العصر — النيل والحرية — الرياء والذلة — الانتخابات الزائفة إلى المنبت

من الملائك فى زىّ الأناسىّ ... تبارك اللهُ يا مصر الأمانىِّ
النيل مجتمع الحسنى كما احتشدت ... ملاحةُ الروض فى خدِّ الأقاحىّ
علمٌ وجنّاتُ نبت مصر بينهما ... أحظى من النحل بالشهد النباتىّ
العلم حلية عصر نحن شارته ... صوغَ الهلال على العام الهلالىّ
من يحك عنّا يردِّد كلّ ساحرةٍ ... كالعود ترجم للصوت الغنائىّ(1)
أدل بالغرب جيلٌ أوّليتهُ ... لم تشهد الحسنَ يستوحى لغربىّ
كُنا وكانوا فتلك الشمس مخبرةً ... أن ليس فى الغرب نورٌ غير شرقىّ
فى عين شمسٍ لنا أو أرض أندلُس ... وادٍ من العلم صخّابُ الأواذىّ(2)
لنا البديعُ كأن الشمس قد نُثِرتْ ... صبغاً على كل حالٍ منه شمسىّ
سحر البراعة فنٌّ كم نساجله ... بكل صناعةٍ للسحرِ فنىّ
ما أرسلت مصرُ بالتبيان ساحرةً ... إلاّ وقد حاسنته بالقباطىّ(3)
عطفاً على لغة التنزيل إن لها ... فى ندوة الحىّ شأناً غير منسى
صونوا البيان فللدولات ناهضةً ... شأوُ البيانىّ فى وقع الرُّدَيْنىّ
مصرٌ على قِلةٍ فى مصر مكثرةٌ ... عَدَّ الأماجيد كالرقم الحسابى

تمشى إلى جنة العلياء نسلُبها ... برد الجوانح من ظلٍّ ومن رِيّ
الجدُّ يمليك فيمن لا تشابهُهُ ... كالأرض تخطر فى ركب الدّرارِيّ

* * *

النيل بالأزهر الوضاح نهضته ... كالبيت قام على الركن اليمانى
ما أنبل الأزهر الدينى يقبسه ... عهدُ الصقلىّ من عهد التهامىّ
لله شيعيّة صلّتْ بقبلته ... فراح أزهر سُنىّ وشيعىّ
ما أجدر العلم أن يحيا بموثقه ... وُدُّ الشيعتين مشدود الأواخىّ
بيتٌ وبيتٌ أقام الرشدُ مدرسةً ... بالقاهرىّ وصلّى بالحجازيّ
واهاً له أزهراً لو أن عالمه ... مشى إلى الدين فى الرأىِ الأمامىّ
العلم يَفْتَنُّ وَضّاحاً فنطلبُهُ ... بالأزهرىّ مُقيماً فى الأحاجىّ
غفرانك الله إن العصر مُدّخِرٌ ... للأزهريين ذكراً غير مطوىّ
يا أزهر العلم دُمْ للشرق مدرسةً ... عَزّ العراقىُّ فيها بالشآمىّ
حىٌّ الجديد فما يرضَى معارضهُ ... حتى لدى الموت قبراً غير عصرىّ

* * *

لا نضرَ الله للتثقيف آونةً ... ألحت على الوحى بالشرح الخرافىّ
عهدٌ تزار به الموتى لخشيتها ... وربك الحىُّ فيه غير مخشىّ
إن الكتاب الذى صَلّى بسورته ... محمدٌ باتَ صوتاً فى الأغانىّ

(1) ترديد العود لما يقوله المغنى يسمى ترجمة فى الاصطلاح الموسيقى
(2) الأواذى : الأمواج
(3) القباطى : نسيج مصرى قديم ينوه به التاريخ

غنت به «أم كلثوم» تجاوبها   من «آل رفعت» أشباهُ القماريّ
دين الحنيفيِّ لا يُجزَى بأزهره   خيراً ويجزاه للدين السّماويّ
الشرع فى القوم يبنيه ويهدمه   غاوٍ تأنق فى الحلم المنامىّ
أزرى على العلم والدنيا مثقفةً   علامةُ النّاسِ بالعلم اللّدُنّيّ
قطب من الرشد أدنى مايؤمُّ له   من السماحة فى القطب الشماليّ
إذا تشكيت للمنّاع لاعجةً   سقيت ريًّا من الماء السّرابي
زين الشيوخ حريٌّ أن يُسدّده   هُدَى الكتاب إلى الجود الفراتي
لاأظلمِ الجودَ كم سحتوت أرملة   لدى (الأمامين) والقبر (الحسيني)
يعطى لدى كل قبر كل مكتنز   باب الزكاة لديه غير مرضيّ
بنو الحياة حُلاها كيف نطلبها   بكل غادٍ على الموتى قرافي ؟؟
لله عــلامة بالدين يعصمه   إن بات عالم دين غير ديني
ملء العيون سنا والشرق محمدة   ملء النفوس هدى ملء الأماني
إن دام للأزهر الوضّاء حاضرُهُ   فالأحمديّ به فوقَ المراغي

* * *

تبا لمشيخة الإســلام يفرضها   مَن ينزل الوحي بالأمر الوزاري
شيخ ومن أين للإسلام مشيخة   لولا تكذّبُ داعٍ أو حواري ؟
معليك يادين إن شابتك زائفةٌ   فلّ الزجاج برأي منه ماسيّ
باسم الولاية كم شيخ مراشفه   على يدَىْ كل «شبّاك وسُبكيّ»
الغرب يضحك والإسلام يخجله   من شيخه قبلة فى كفّ سُوقيّ
بعضُ العمائم يطويه على سخفٍ   دين العفيفيّ عن وحى السباعي
صاد الرفاعيُّ ثعباناً فألّهه   يا آيَ موسى هنيئًا بالرفاعيّ
هيهات لن يؤمن الأشياخ أو يصلوا   دون الأناسيّ خلّاق الأناسيّ

* * *

يا مصلح الأزهر المصدوق آمله   حياك باريه بالروح السّماويّ
طبعت للنفع طبع الشمس منتحياً   إلى الهُدى سنة النور الصباحيّ
للدين ندعوك للإصلاح يؤنسه   مجدُ القدامى ، وللنبت العصاميّ
أقبل كوصفك نوراً أيّ مشترك   لا خير فى شيمة العلم الأنانيّ
الدين إن لم تَصُلْ بالعلم حجته   فاز الخرافيُّ منه باليقينيّ
أعمل حجاك فما أحرى بنيّره   أن يجلى الله فى العرش الالهيّ
ذمّ القديمُ فما أصفى بتكرمة   سوى عتيد العلى من كل عاديّ
أفٍّ لنفسي فما ترضى بصالحة   ليس العصاميُّ فيها بالعظاميّ
جهل الأبوة بين النشء مقتلة   ماذا يحب من الداء الوراثيّ
فى معهد العصر أبناء أبوّتهم   فى معهد الدين ألفَوا كل عصريّ
إن الحنيفيّة الغراء يشغفها   لُبُّ الثقافيّ فى هدى الحنيفيّ
يا رُبَّ دمع على الإسلام متّهم   كما تسمّتَ للنوح الحماميّ
خافوا على الدين من علم وفلسفة   ما أنت يادين بالصرح الزجاجيّ
عداوة العلم والإسلام يمشقه   سجية الإفن فى اللُّبّ الثقافيّ
العلم أجمع فيــه الخير أجمعه   كالنحل ماذية رقّت بماذيّ (١)

* * *

مهلاً بنى العصر قد جنت شمائله   إن الهداة حمام عنــد بازيّ
لا السّرحُ يحميه من أودت بعصمته   دُنيا الفتُون ولا الراعى بمحميّ
مَن نصطفيه لدى الإصلاح ترجمةً   لآية الرشد فى العصر الإباحيّ؟
يا آسى الشرق إن الشرق محتشداً   يجزيك نعماء هادٍ عنــــد مهديّ
واهاً لوصفك مسكيًّا نناخمة   بكل ذاك من الأمداح مسكيّ
خُذنا إلى النور لمّاعاً بميسمه   فلن تضيءُ بنورٍ غير ناريّ
الجِدُّ من بغية الاصلاح أنجبه   خلط الحريريّ منه بالحديديّ
السائسُ البرُّ جبارٌ يصرفه   لُبُّ الدراسيّ فى عزم الحماسيّ
بدّدْ من الجهل ليلاً أنت غرّته   إن الصّباح من الليل الغُداقيّ
يا حلكة الجهل فضّاحاً بسبّته   متى تجليك بالضوء النّهاريّ ؟؟

* * *

لا أكذب العصر إن العصر مختلفٌ   مجد الرشيد وأكوابُ النواسيّ !
بنا ظماء إلى الساقى على يده   كأس تدفق بالسّمّ الشّرابيّ

(١) الماذى العسل الأبيض

ويحى على النيل إن ردت مشارعه … رِىَّ القلوب من العذب الزلالىّ

تلك الكؤوس ملاء كيف يجرعها … من يرهن النيل فى الدين العقاري

نقضى من الدين ما نخزي بمطلبه … وللكرامة دين غيرُ مقضِيّ !

لُؤْمُ التصرُّف إذ نودى بنافعةٍ … قد لَفَّ حاجِبَّهَا ثوبُ الكمالىّ

إنَّا لنحمل بالآداب زائفةً … عبء الخدود من الورد الصّناعى

كم فى الشمائل مطلىٌّ نخادعه … بكل خدٍّ صنيع الحسن مَطْلِيّ

نُنْحِى على الحسن إغواء وتحليةً … كالشعر يحنو على السحر الخيالىّ

ما أعدل الحسن تجزينا لواحظه … على تصبّيه سحريًّا بسحرىّ

* * *

يا ربُّ، يا ربُّ خُذْ للنيل من فئةٍ … ألقتْ على مصر عاراً غير مصريّ

خافوا على زيفهم من كل منتقدٍ … يا ليث رحماك للدَّلّ الكناسىّ

لو أرَّخَ الفتحُ لم يعدل مُؤَرِّخُهُ … « بيوم بدر » سوى « يوم البدارى »

يوم البدارىّ فوزٌ ليس يعدله … للنيل فوزٌ سوى النصر العرابىّ

لله درُّ فلان لست أغمزهُ … ولا رثى الله للعهد الفلانِىّ

عهـــد بكينا له إبّان مولده … شرَّ العهود وولّى غيرَ مبكىّ

أنحى على الفكر تقسيًّا فوا كبدى … هل أنبت السعد فكرٌ غير قسىّ

إن كان صاحب لُبٍّ ليس يعمله … فأين حدثتَ بالّلب الجمادىّ ؟

خُلْفُ الطوائف للأصلاح منقبة … شمائل الرشد فى الرأى الخلافىّ

لا يملك الشائنُ الفضّاحُ منزلةً … بين الأبيين من ناهٍ ومنهىّ

الحُرُّ للخطة العلياء غضبته … وغضبة الوغد للرأى العدائىّ

* * *

عُبّاد كل رئيس لمة ضربت … فى مصر فى مصنع الضرب الحكوميّ

هَمّتْ براعاتهم بالحق منصلتاً … وَيْحَ الحديديّ من وقع الحريرى!

واحر قلباه كم تقضى إلى شرسٍ … من الأناسيّ فى صولات جِنّىّ

الأمر يبرم سِرّيًّا فتلهمهُ … منابتُ الغىّ من بادٍ وسرّى

وعدُ المحبين مأتيٌّ فإن ظفرت … به العُداة فوعدٌ غيرُ مأتِىّ

* * *

قيل انتخاب[1] فماذوا فى نيابتهم … بكل ذئب حديد الناب وحشىّ

ما أقتل العدل فى الشورى إن التفتت … عن كل محتفل بالرأى شـــورى

ضحوا بكل أبيّ ليس يفجعهم … أن رَدَّ دُستورهم بعض الأضاحىّ

ويح الكراسىّ للنُّواب كم حملت … أشلاء جَلْدٍ على سلب الكراسىّ

إن الدساتير إن خطت معطلةً … قتل الأمانىّ باللُّؤم الكتابىّ

ما أعدل الله فرداً فى حكومته … وأعدل الحكم شورى غير فرديّ

* * *

للرفق إلمامةٌ بالنبت واعظةٌ … مثل الجفون ألمّتْ بالأناسىّ[2]

يا نبتة النيل يا أذكى صحائفه … حييتِا بين فَدّاء ومَفْدِىّ

ألنَّبْتُ للنيل فلينهَدْ لعزته … بالجد بالعلم ، بالسحر البيانىّ

السكرية — دار القاياتى … حسن القاياتى

---

(١) يراد بهنا أحد عهود الانتخابات الزائفة القديمة

(٢) الأناسى : هى أناسى العيون



بين العراق ومصر

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

لكم تألمت حين قرأت فى (الأهرام) وغير الأهرام وسمعت من إخواننا المصريين ما كتبوا وقالوا فى تأويل حادث الدكتور الشهيد سيف رحمه الله . وكم وددت أن أكتب كلمة فى الموضوع أبعث بها إلى الرسالة أدفع فيها عن العراق وأبين عن وجه الحق، ثم ظننت أن الرسالة تضيق عن مثل ذلك صفحاتها فترددت ، حتى طلعت علينا يا سيدى بمقالتك البليغة التى قطعت قول كل كاتب وخطيب، فسرنى منها مايسرنى من كنز أقع عليه، أو أمل أصل إليه، وشكرتها لك أنا وأصحابي، شكر الله لك سعيك وجزاك خيراً ، فلقد ذدت والله عن الحق حين ذدت عن العراق ، ولقد شهدت شهادة الحق حين شهدت بما رأيت فى العراق

وهذه شهادة أخرى ، أشهدها بالله ولله ، أن قد عشت فى العراق سنة ، كنت فيها مع التلاميذ أخاً بين إخوان ، لا مدرساً بين تلاميذ ، فما رأيت إلا كرماً وودا ، ووفاء وتقديراً ، ورقة فى الطبع وسمواً فى النفس . ولقد كنت على أن أكتب ذلك من أمد طويل ، فكان يمنعنى أن الناس يظنون بكل صاحب ثناء رهبة أو رغبة ، وما بى رغبة ولا رهبة ، وإنما بى حب العراق وإجلاله كحبى لمصر وإجلالى إياها

وأشهد لقد عرفت هذا الطالب فى العام الماضى طالباً فى صف البكالوريا فعرفت فيه الفتى المهذب الوديع ، فلما سمعت بفعلته التى فعل ، بلغ منى العجب ، ولم أدر ماذا حاق به بعدى ؛ ثم سألت وتحسست الأخبار فعلمت أنها صدمة (الرسوب) طارت بلبه ولم يطق عليها صبراً (والصبر عند الصدمة الأولى) وتملكته حال لو رأى معها أباه لقتله ، فعزم وأمضى عزمه فى لحظة واحدة فهل يلام فى شرع أو عرف من ذهب اليأس بلبه فمضى يفعل فعله من غير لب ؟ وهل تؤخذ بجريرته هذه الأمة الحبيبة الوفية المسلمة العربية ، وهل تنسى حسناتها كلها لشبه إساءة ؟

لئن يكن الفعل الذى ساء واحداً فأفعالها اللائى سررن ألوف

وهل لنا (نحن معشر العرب المسلمين) إلا العراق ومصر ؟ هناك العروبة منشورة اللواء ، وهنا الاسلام وفاق العلم ، بل هنا وهناك العروبة والاسلام . لقد أسمعتنا هذه الأمة الطيبة ، وهذه الحكومة العربية المسلمة ، صوت الاسلام يخرج (فى أسبوع المولد) من (محطة) بغداد فتتجاوب به أرجاء هذه الكرة ، ولقد سمعنا الكلمة من كل مصرى فى مصر. أفتنفصم عرى هذه الأخوة التى عقدتها يد الله من فوق سبع سماوات فعلة شاب يائس ؟ هل يمكن أن يفرق شىء بين الأمتين المسلمتين الحبيبتين ، أمة الملك الصالح فاروق زين شباب المسلمين ، والملك الماجد غازى فخر شباب العرب ؟

لا والله ، إلا أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

***

فرحمة الله على الدكتور سيف البطل الشهيد ، وعلى الطالب القاتل البرىء ، وعزّى الأمتين الشقيقتين ، بل عزّى الأمة المسلمة (الواحدة) على ضفاف النيل وشواطىء الرافدين ، وزادها عزاً ومجداً و (اتحاداً)

(دمشق) على الطنطاوى

نجاح الفنانين المصريين

تلقت إدارة الفنون الجميلة بوزارة المعارف من مدير الجناح المصرى بمعرض « بينال » الدولى للفنون الجميلة المقام الآن بمدينة البندقية والذي اشتركت مصر فيه لأول مرة هذا العام — كتاباً يشير فيه إلى نجاح القسم المصرى بهذا المعرض

نجاحاً حمل بعض الشخصيات الأوربية على إبداء الرغبة فى اقتناء بعض معروضات الفنانين المصريين المشتركين فى المعرض . وطلب المدير تحقيقاً لهذه الرغبة أن يخفض الفنانون المصريون أثمان معروضاتهم حتى يتمكن من تسهيل نشر الفن المصرى بين الأوساط الأوربية الراقية

ولا شك أن نجاح القسم المصرى فى معرض دولى يعد من أكبر معارض الفن بأوربا لما يدعو إلى التفاؤل بمستقبل الفنانين المصريين بفضل الجهود التى تبذلها مراقبة الفنون الجميلة بوزارة المعارف

آثار حملة نابليون بونابرت

سيفتتح قريباً فى قصر « التويليرى » بباريس معرض لآثار حملة نابوليون بونابرت على مصر . وسيضم هذا المعرض مجموعة قيمة من الوثائق الخاصة بإعداد هذه الحملة؛ وهى تدل على أن نابليون — الذى عرف كيف يجمع حوله العلماء — كان قد فكر فى جميع التفاصيل المادية . ومن أمثال ذلك أنه حمل معه مطبعة لاعداد مجموعة من البيانات العلمية

وسيتضمن هذا المعرض أيضاً مجموعة من الصور تمثل القواد الشبان الذين اشتركوا فى حملة مصر

ولا شك فى أن التحفة النادرة فى المعرض ستكون الجمل المحنط الذى حمل نابليون فى مصر ولاسيا فى معركة الأهرام

ومع أن نابليون بونابرت كان يشعر بثقل دوار البحر عندما يمتطى جمله فقد تعلق به وعهد إلى أحسن علماء الطبيعيات فى التحف بحشوه بالقش بعد أن نفق

وقد مر أمام هذا الجمل مئات من الزوار فى متحف باريس أو فى متحف نابوليون فى ايكس

وقد عاد هذا الجمل التاريخى الآن إلى باريس حيث يظهر فى المعرض وعليه رحل مزخرف بالذهب والفضة

ويحتمل أن ينقل الجمل — بعد انتهاء المعرض — إلى قصر مالميزون بجوار باريس حيث يبقى إلى جانب السرير الصغير الذى كان ينام عليه بونابرت فى منفاه بجزيرة القديسة هيلانة

وفاة أديب انجليزى

توفى المستر برسى هويت الصحفى الروائى فى السادسة والثمانين من عمره، وقد تولى رياسة تحرير جريدة «الرأى العام» بلك أوبنيون عشر سنوات ، واشتغل محاضراً فى آداب اللغة الانجليزية بالجامعة المصرية من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٤

مكتبة عصبة الأمم ودراسة نظامها

وافقت وزارة المعارف على إيفاد الأستاذ احمد رامى إلى جنيف لزيارة عصبة الأمم ودراسة نظام العمل فى مكتبتها توطئة لاقتباس هذا النظام وإدخاله على دار الكتب المصرية

مقالة فى الجدل للإمام الاسفرايينى

للامام أبى حامد الاسفرايينى مقالة فى الجدل مبينة، وللعلامة أبى نصر السبكى تعليقة عليها لطيفة . وقد رأيت أن أروى التعليقة والمقالة ، وإنهما لحقيقتان بالرواية فى (الرسالة) :

« قال أبو حيان التوحيدى : سمعت الشيخ أبا حامد (الاسْفَرَايينى) يقول لطاهر العَبّادانى : لا تعلق كثيراً لما تسمع منى فى مجالس الجدل ؛ فان الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالبته ، فلسنا نتكلم لوجه الله خالصاً ، ولو أردنا ذلك لكان خطونا إلى الصمت أسرع من تطاولنا فى الكلام ، وإن كنا فى كثير من هذا نبوء بغضب الله (تعالى) فإنا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله »

قال أبو نصر السبكى : « قلت : وهو طمع قريب، فان ما يقع من المغالطات والمغالبات فى مجالس النظر يحصل به من تعليم إقامة الحجة ، ونشر العلم ، وبعث الهمم على طلبه — ما يعظم فى نظر أهل الحق ، ويقل عنده قلة الخلوص ، وتعود بركة فائدته وانتشارها على عدم الخلوص ، فقرب من الاخلاص إن شاء الله »

« القارئ »

من آفات المناظرة

من آفات المناظرة فى بلادنا (دون بلاد الله كلها) أن جمهرة القراء تنظر إليها نظرها إلى شكل من أشكال الصراع أو القتال لا ترى بينها وبين الملاكمة فرقاً ظاهراً . فليس الظافر من جاء بالحجة الظاهرة والدليل القاهر ، ولكن الظافر من كان أكثر كلاماً ، وأطول لساناً ، وأدنى إلى التعريض والتسميع بخصمه وأقدر على النيل منه ، ومن كان أثبت فى الجدال؛ بل إن كثيراً ، من القراء يرون الظافر من كان صاحب الكلمة الأخيرة ، أى أنهم يقرأون لهذا فيميلون معه ، ثم يقرأون لذاك فيميلون إليه حتى يسكت أحد الخصمين فيحكموا عليه . أما الموازنة بين الحجج

والمفاضلة بين الدلائل، والحكم حكم المنصف العادل والناقد البصير، فشيء لا يكاد ينصرف إليه أحد. ثم إن القراء لا يعجبون بأحد ما يعجبون بكاتب يدافع وحده ويقابل جماعة من الناس، ولو كان مبطلاً يقول الواحد نصف الثلاثة، ولو كانوا محقين يقولون الواحد ثلثها، ولو كان مغالطاً وكانوا أصحاب الدليل، ولو كان ضعيفاً في نفسه، وكان كل واحد منهم أقوى منه؛ والقراء بعد ذلك يريدون من المناظر أن يجيب كل قائل، ولو لم يفرق بين كلمة العقيدة مثلاً تراجع في اللسان، وبين العقيدة ذاتها تدرس في كتاب الآراء والمعتقدات، ويحسبون من العجز أن يعرض المرء عن بعض القائلين ولو نالوا منه ولا يجدهم للجواب أهلاً.

هذا إذا لم يكن القارئ صاحب هوى يميل حيث يميل به الهوى، ويستقر حيث تطرحه صداقة أو عداوة، فلا يفيد مما يقال شيئاً ...

... فأي فائدة للمناظرة مع هذه الآفات؟

« دمشق » (ع ...)

تحية إلى الأستاذ العقاد

عزيزي الأستاذ الزيات صاحب «الرسالة» الغراء

أطلعني (بعضهم) على كلمات هزيلة درجت في جريدة «الاصلاح» السورية تستفتيني الحكم النزيه في أدب الأستاذين العقاد والمرحوم الرافعي، وتدعوني إلى أن أخوض المعمعة الأدبية التي أثارها تلاميذ الكاتبين العظيمين؛ ثم ينقل المحرر عني حديثاً ملفقاً مختلقاً يثبت فيه أني من أنصار الأستاذ المرحوم الرافعي؛ ودليله على ذلك (طبعاً) الحفلة التأبينية الكبرى التي كنت قد عزمت على إقامتها في مدينة ابن الوليد إجلالاً للكاتب العربي الكبير وتقديراً لمنافحته عن الاسلام والعروبة. ثم حالت الظروف القاهرة من دون تنفيذها وإخراجها إلى حيز الواقع والوجود...

وليت المحرر الفاضل وقف عند هذا الحد فلا يغش القراء ولا يظلم الحقيقة، بل هو يأبى إلا أن ينحلني مقالة مذيلة بإمضائي مؤداها أني ثائر على أدب العقاد، منكر عليه شعره وفنه، ناع عليه ضيق أفقه وغباوة فهمه لمعنى الأدب الصحيح ...!

وأنا — الذي أصرح الآن على صفحات الرسالة الغراء بأني من أشد الناس تعصباً لأدبه وعبقريته — لا يسعني إلا أن أحيي الأستاذ الكبير العقاد وأقول باختصار: إن كان كل ما يرويه المحرر الفاضل من هذا القبيل فويل للحقيقة منه وويل له من الحقيقة...

« حمص » عبد القادر جنيدي

أسرار أبي الهول

أنجز الأستاذ سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار كتاباً جديداً نفيساً باللغة الانكليزية في «أبي الهول وأسراره» وهو في نحو أربعمائة صفحة ومئة وثمانين صورة، والمنتظر أن يقدم للطبع في انكلترا قريباً

والكتاب أربعة فصول أولها يحتوي على بحث الحفائر حول أبي الهول من عهد الملك خفرع إلى سنة ١٩٣٨، والثاني بحث في الملوك الذين زاروا أبا الهول من عهد الأسرة الثامنة عشرة المصرية إلى عهد الرومان، والثالث أصل أبي الهول وتحوله شكلاً ورمزاً في الأمم التي أخذته عن مصر، والرابع في المعنى الديني لأبي الهول ووجود مستعمرة كنعانية أو إسرائيلية في جواره والعثور على البلد المفقود اسمه والذي كان هؤلاء القوم يقطنون فيه

وفي هذا الفصل الأخير ولا سيما الكلام الخاص بالمستعمرة الكنعانية أمور كثيرة جديدة خطيرة الشأن كشفها الأستاذ سليم بك حسن وأفضت إلى فهم كثير من الأسرار التي كانت ولا تزال مقترنة باسم «أبي الهول»

نشأة الصحافة المصرية اليومية وتطورها

قدم الدكتور كمال الدين جلال رسالة عن «نشأة الصحافة اليومية المصرية وتطورها» إلى جامعة برلين نال بها إجازة الدكتوراه في علوم الصحافة فنال بها أعلى درجة جامعية، وأرسلت الجامعة إلى الجهات المصرية الرسمية في برلين تقريراً تثني فيه على جهود الدكتور جلال وتمتدح رسالته

ولا شك أن أسرة الصحافة المصرية التي يخدمها الزميل جلال خدماته الجليلة المعروفة منذ سنوات يهمها الوقوف على ما تحويه هذه الرسالة النفيسة التي جمعت لأول مرة تاريخ الصحافة في مصر منذ نشأتها الأولى حتى اليوم والتي سيكون لها بعد طبعها قريباً قيمتها العلمية المنتظرة

تعد الرسالة خير دعاية لجهود الصحافة المصرية وكفاحها في سبيل خدمة الشعب المصري حتى أصبحت عونه الأول والأخير في نضاله وتقدمه الاجتماعي

قسم المؤلف رسالته — وتقع في نحو ٣٥٠ صفحة — إلى أقسام يختص كل قسم بعصر سياسي تاريخي في مصر، وقد بدأ الرسالة ببحث ليس بالقصير يقع في فصلين، أولها عن طرق النشر عند قدماء المصريين (وقد نال هـذا الفصل تقديراً وثناء من



البـــاب المرصود

تأليف الأستاذ عمر فاخوري

من مطبوعات دار « المكشوف » — بيروت

للاستاذ محمد سعيد العريان

دأبت دار « المكشوف » على أن تنشر لقراء العربية خير ما يؤلفه أدباء لبنان فى الآداب والفنون

والمكشوف كما قد يعرف قراء العربية فى مصر هو جريدة أدبية يقوم على شئونها طائفة من خيرة أدباء لبنان ، وهى لسان الجيل الجديد من أدبائه وكتابه وشعرائه

أما كتاب اليوم فهو سلسلة مقالات أنشأها منشئها الفاضل فى مناسبات عدة ، فلما بلغت عِدَّتها أن تكون كتاباً أخرجته دار المكشوف لقراء العربية

أما الأستاذ عمر فاخورى مؤلف هذه الفصول فأديب من أدباء لبنان لا نجد ما نعرِّفه به إلى القراء إلا من قوله فى بعض رسائل هذا الكتاب

« إني كثير المطالعة قليل الكتابة . وقد أوتيتُ بسطة من العيش وكثيراً من الفراغ يسَّرا لى الانصراف إلى كتبى ودفاترى ، أقرأ وأقيِّد ما يعن لبالى ، وقلما أغفل شاردة أو واردة لاعتقادى أنها تفيد يوماً من الأيام . ولو شئت الآن أن أعيد النظر فى حياتى

الأستاذ جرابو أستاذ علم الآثار المصرية فى جامعة برلين) وثانيهما عن طرق النشر فى مصر تحت الحكم العربى ، ثم تطرق الدكتور جلال إلى موضوع رسالته الأصلى فقسمها إلى :

١ — الحملة الفرنسية وأثرها فى نشأة الصحافة فى مصر
٢ — نشأة « الوقائع » فى عهد محمد على
٣ — الصحافة المصرية فى عصر إسماعيل
٤ — الصحافة فى عصر توفيق إلى مبدأ الثورة العرابية
٥ — الثورة العرابية وأثرها فى الصحافة المصرية
٦ — الصحافة فى عهد الاحتلال إلى أول نشوب الحرب الكبرى
٧ — الصحافة أثناء الحرب الكبرى
٨ — الصحافة فى الثورة الاستقلالية
٩ — الصحافة من إعلان الدستور حتى اليوم

هذه هى أبواب الرسالة الرئيسية قسم المؤلف كلا منها إلى ثلاثة فصول : درس فى الفصل الأول العصر من الوجهة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وذكر فى الثانى الصحف التى نشأت فى العصر فتحدث عن كل صحيفة بالتفصيل ثم ترجم لمؤسسيها والمشتغلين بها ، وتكلم فى الفصل الثالث عن عوامل العصر السياسية والاجتماعية التى أثرت فى تطور الصحافة . وقد قارن الدكتور جلال فى كثير من العصور صحافة مصر بصحافة البلاد الشرقية المجاورة

أتت هذه الرسالة على جل ما يتعلق بصحافة مصر العربية ، فكانت سفراً علمياً جامعاً سد به المؤلف فراغاً فى تاريخ النهضة المصرية الحديثة

ولقد أحسن الزميل إذ ذكر فى مقدمة رسالته أنه يهدى ثمرة جهوده هذه إلى صحافى مصر الذين اتخذوا الصحافة مهنة لهم يخدمون بها وطنهم مصر والذين لم يبالوا بما أصابهم ولن يعبأوا بما يصيبهم فى سبيل القيام بهذا الواجب المقدس

فالشباب المصرى يفتخر بجهود هذا الصحفى الشاب الذى جمع بين العلم والصحافة وجعلهما سلاحه فى خدمة بلاده والدعاية لها ، ونحن نهنئه من قلوب تنبض سعيدة مستبشرة كلما شعرت بجهود ناجحة فى سبيل الواجب

مراد كامل
دكتور فى اللغات السامية

الماضية وأحصى ما مرّ عليّ من حوادث جديرة بالذكر ، كي أكتب سيرتي بنفسي ، لاستطعت دون عناء اختصارها في هذه الجملة الجامعة « مطالعات في زاوية بيت » فان الكتب التي طالعتها هي أعظم حوادث حياتي ! »

ويبدو لي أن هـذا الذي يقوله المؤلف عن نفسه هو حق ؛ فان أثر مطالعاته الشاملة المنوعة من أدب الشرق وأدب الغرب ، واضح كل الوضوح فيما أنشأ من فصول هذا الكتاب ، سواء في الرأي والفكرة والاتجاه العقلي ، أو في أسلوب الكتابة

أما موضوع الكتاب فقد أسلفت الاشارة إليه ، فهو فصول عدة كتبها كاتبها في مناسبات مختلفة بين سنتي ١٩٢٦، ١٩٣٧ ، ولكنها على طول العهد بين أجزائها تجمعها رابطة واحدة يصح أن نسميها « نظرات في الشعر من بعض نواحيه »

ويتحدث المؤلف في الفصل الأول من هـذا الكتاب عن « الشاعر وأبنائه » ويعني بأبنائه : مؤلفاته ، أو بنات أفكاره على ما نسميهـا أحياناً ؛ أما الباب الثاني فيتحدث عن الباب المرصود : الباب الذي يخال الانسان أن وراءه السعادة التي يدأب في السعي إليها

وهو في الفصل الثالث يتحدث عن « كنوز الفقراء » ، الكنوز التي يتعزّون منها بوهم الأماني في الحكايات والخرافات وأساطير الأولين . وله في هذا الفصل فكر وروح شاعرة ؛ ولكن له فيه إلى ذلك حديثاً عن النبوة والأنبياء كنا نؤثر ألا ينزلق إليه ، وإن كنت أومن في نفسي أنه لم يقصد إلى معنى من المعاني التي تتبادر إلى ذهن قارئه . ولكنا نحب ألا نتناول الحديث عن النبوة والأنبياء إلا بالعبارة الصريحة التي لا تؤدي إلى نفس قارئها غير معنى واحد

وفي حديثه عن الشعر القومي وعن صديقه الشاعر « عمر الزعني » نقرأ له رأياً في العامية والفصحى أحسب أن لا أحد من أصدقاء الوحدة العربية يوافقه عليه

وله فصل بعنوان « المرأة المجلوة والمرآة الصدئة » جمع فيه إلى رأيه آراء ، وتحدث عن الصلة بين الأخلاق والفن ، وعن الأسلوب والمعنى ، وعن الموضوعات التي ينبغي أن يتناولها الأديب ، وهو موضوع له خطره تناوله الكاتب بروح الشاب الثائر يحكم فيه الحكم (البرم) قبل أن تجتمع له مقدماته ؛ فما ينبغي أن نتحدث عن صلة الأدب والفن بالأخلاق قبل أن نتفق على الرأي في الغاية من الأدب وفي رسالة الأديب وما يعود منهما على الانسانية . ومهما يكن الرأي في ذلك فلا جدال في أن الأمة العربية في حالها الواقع لم تنضج بعد النضج الأدبي أو الخلقي الذي يبيح لنا أن ندعو إلى ما يسمونه الأدب المكشوف ، على ما قد يكون فيه — كما يقول دُعاته — من السمو بالآداب والفنون !

وفي الكتاب غير ذلك فصول ممتعة ، خليقة بأن يجد فيها القارئ لذة وفكراً ومعرفة ؛ وحسبي أن أذكر منها : العمود المادي ، والأحلام ، والشاعر في السوق . فإنها فصول جديدة في موضوعها ، وقد وُفِّق الكاتب في تناولها توفيقاً يدعو إلى الإعجاب ...

أما بعد فهذا كتاب من منشورات إخواننا العرب في لبنان وما أقل ما نعرف عن أدباء لبنان وغيرها من الأقطار العربية ؛ وأقل منه ما نقرأ من مؤلفاتهم ومنشوراتهم ؛ على حين يعرف إخواننا في الشرق العربي من أدبائنا ويقرءون من مطبوعاتنا في مصر أكثر مما تعرف مصر نفسها عن أدبائها ومؤلفيها . وما نذكر ذلك لمعنى نفاضل به بيننا وبينهم في الأدب ، ولكن لنذكر إخواننا في مصر بأن عليهم واجباً في الوفاء لإخواننا في البلاد العربية عرفوه ونسيناه ، وإني لأشير إليه في هذه الكلمة اعترافاً بالحق وعرفاناً بالجميل

وإني لأشعر بكثير من السرور إذ أقدم هذا المؤلَّف إلى من يريد أن يقرأه من أدباء مصر ، وإذ أعرفهم بأديب من جيراننا ينبغي أن يعرفوه ويقرءوا له ؛ ولعلي بهذا أكون قد اعتذرت لاخواننا مما يظنون بنا وقمت بشيء مما علينا لاخواننا من الوفاء وعرفان الجميل

محمد سعيد العريان

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

وزعنا هذا الفهرس مع هذا العدد فمن لم يصله فليطلبه من الادارة